عبدالله بن سبأ
بين الواقع والخيال

دراسة تاريخية تحليلية

على ضوء آراء العلماء و الباحثين

الطبعة الثانية

تاليف:

سيد هادي خسروشاهي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾

(الإسراء ٣٦)

عبدالله بن سبأ
بين الواقع والخيال

دراسة تاريخية تحليلية على ضوء

آراء العلماء والباحثين

تأليف
سيد هادي خسروشاهي

سرشناسه : خسروشاهی ، هادی، ۱۳۱۷ -

عنوان و پدیدآور : عبدالله بن سبأ بین الواقع والخیال دراسة تاریخیة تحلیلیة علی ضوء آراء العلماء والباحثین/ تألیف: هادي خسروشاهي.

مشخصات نشر : قم: المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة، المعاونیة الثقافیة، الطبعة الاولی ۲۰۰۵م. = ۱۴۲۶-۱۳۸۴ الطبعة الثانیة ۲۰۰۸، ۱۴۲۸، ۱۳۸۶.

مشخصات ظاهری : ۱۴۴ ص.

شابک : 974-964-7994-91-0

وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا

موضوع : عبدالله ابن سبأ ، - ۴۰ق - - نقد و تفسیر.

موضوع : غلاة شیعه.

شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.

رده‌بندی کنگره : ۲ ع ۵ خ /۲۴۱ BP

رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۵۳۸

شماره کتابخانه ملی : ۸۳-۳۸۸۸۰ م

اسم الکتاب: عبدالله بن سبأ بین الواقع والخیال

المؤلف: سید هادي خسروشاهي

الناشر: المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة - المعاونیة الثقافیة

الطبعة: الثانیة - ۱۴۲۸ هـ.ق ۲۰۰۸ م

الکمیة: ۲۰۰۰ نسخه

السعر: ۱۲۰۰ تومان

المطبعة: لیلی للطباعة

ردمك: ۹۷۴-۹۶۴-۷۹۹۴-۹۱-۰ ISBN: 974-964-7994-91-0

العنوان: الجمهوریة الاسلامیة في ایران - طهران - ص. ب: ۶۹۹۵ - ۱۵۸۷۵

تلفکس: ۱۴ - ۸۸۳۲۱۴۱۱ - ۲۱ - ۰۰۹۸

فهرس الموضوعات

كلمة المركز

لامراء أنّ من أشدّ أنواع المعاناة التي تتعرّض لها الشعوب والأُمم في الفترات العصيبة والشاقّة من حياتها، هو ذاك التنافر الشديد في الرؤىٰ الفكرية والعقائدية الذي يبلغ حدّاً يعطّل فيه توازن المجتمع، وتشلّ حركته، لما يسيطر فيه من حدّة وتعصّب يصلان في أحايين كثيرة إلى مستوىٰ التكفير والتجريم الذي يمارسه كلّ طرف علىٰ غيره، ويضحىٰ «العنف» وسيلة الإقناع الوحيدة للآخرين!

ويمكن تصوّر كم ستكون الكارثة مروّعة حينذاك!!

فالمغلوبون سيفضّلون الانسحاب إلى الوراء، فيدخلون عالماً أقلّ ما يوصف بالإحباط واللامبالاة القاتلين، وأمّا المنتصرون فسيضحون أسيري قوّتهم التي تقودهم إلى عالمٍ من الزهو والملل، وعندئذٍ ستخلو المواقع من الرجال، ويصبح المجتمع بلاحول ولاقوة تحميه أو تقوده إلى برّ الأمان!

وضمن هذا السياق تدخل مسألة «البحث» و«النظر» في حوادث ومفردات تاريخنا الاسلامي الطويل، إذ أنّ البحث والتقصّي في قضايا وقعت في الماضي، وإعلان النتائج دون تمحيص أو إدراك لما يترتّب عليه من أُمور، قد يسبّب إثارة حفيظة «الآخرين» وغضبهم، فيستدعي ذلك إلى نشوء التوتّر، فالتنافر، ومن بعد سيصاب المجتمع كلّه بالعطب والعطل.

لكن هل هذا يعني مصادرة الأقلام، والامتناع عن تعاطي هكذا بحوث؟

يبدو أنّه لم يبرز مصلح أو مفكّر يدّعي هذا الرأي، فالجميع متّفقون على تعاطي التاريخ وحوادثه ومفرداته، لكنّهم اختلفوا في زاوية النظر.

فمن نظرة قدسية لاتقبل تناول حوادث التاريخ إلّا بالتقريظ. إلى أُخرىٰ لاترىٰ ضرورةً من تناولها في هذه المرحلة بالذات لئلّا نثبّط عزائم المصلحين ومن يرون مبدأ التقريب. وهناك النظرة اللامبالية: لما يعود من أثر سيّئ على مسيرة الأُمّة، فهي لا ترىٰ في هذه المسائل إلّا مجموعة مليئة بالأخطاء ينبغي تصحيحها، إذ أثرها وهي خامدة أكثر سلباً فيما لو أُثيرت عنها الغبار.

وهناك أيضاً النظرة التفاؤلية التي تتّخذ الموضوعية وسيلةً لحلّ هذا التنافر والاختلاف، والسعي إلى تقريب «القلوب» قبل «الأفكار»، انطلاقاً من مبدأ «احترام الغير»، ومحاولة ردّ دعواه بالدليل إن وجد، وإلّا فلا طائل ممّا يراد منه.

ذلك أنّه لايخلو شعب أو أُمة تمتلك تاريخاً ليس فيه أخطاء! فيتوهّم من يظنّ أنّ تفوّق الشعوب وتقدّم الأُمم إنّما جاء من ماضيها المقدس الخالي من الأخطاء والمآسي، أو جاء علىٰ طبقٍ من ذهب، من دون عناءٍ ومشقّةٍ، أو تحرّجٍ من تناول تاريخها بالنقد والمناقشة.

فإنّ ماضي الأُمم الغربية كان مليئاً بالأخطاء والتنافر اللذين أثمرا مآسٍ لعدّة قرون تلت، ووصلت إلى حدٍّ مقرف ومخجل في أحيان كثيرة، لكثرة ماموِرست فيه من جرائم وجنايات، زُهقت أرواح كثيرة، وعُطّلت عقول جبّارة بعنف وخشونة.

ولا نظنّ أنّ سيرة محاكم التفتيش الاوربية المرعبة، وما اقترفته من جنايات مثيرة للقرف تخفىٰ على أحد. وكيف كانت تجمع الناس على شكل طوابير وأرتال، ثم تصفّ في ساحات الاعدام، ثم يتمّ تصفيتهم بدم بارد، ليس لشيء إلّا بسبب رفضهم تحويل أراضيهم إلى مراعٍ كي تجد مصانع الغزل والنسيج حاجتها من الصوف!!

كما وأنّ قصة «غاليلو» وكروية الأرض معلومة لدى لجميع، لاحاجة إلى ذكرها أو التعليق عليها.

فرغم هذه الأهوال التي تكاد لاتصدّق، لم تستسلم هذه الشعوب لما قدّر لهـا، وظلّت تقاوم بشموخ إلى أن استطاعت أن تخرج من هذه الأهوال بسلام، وتقبض على زمام الأُمور، تديرها عقول مدبّرة ومُصلحة، بعيدة عن روح الانتقام والتعصّب، أو توزيع التُهم بالمجّان، وبدلاً عن ذلك راحت تدرس جميع الآراء، وتـحلّل كـل القضايا بروح علمية وموضوعية محضة، ثـم تستخلص مـنها الدروس والعـبر، وتقدّمها للأجيال المتلاحقة التي استوعبت الدروس بدقّة، وتعمل وفق مـا تـمليه عليها المصلحة، فامتدّ نفوذها في كل أقطار الدنيا الوسيعة.

لقد أدركت هذه الشعوب أنّ ماضي أيّ مجتمع هو كحاضره، وليد بيئة اجتماعية معقّدة، وفي ظلّ ظروف سياسية واقتصادية متقلّبة، يستحيل معها أن لاتكون ثمّة أخطاء هنا وهناك، وانحرافات في هذا الجانب أو ذاك. لكن هذا لايـعني وجـوب إثارتها بشكل سلبي بحيث يعود ضررها على الناس جميعاً أو الدين نفسه، وهـو ماترفضه مصلحة الاسلام العليا.

وأمّا الذين يرون عكس ذلك فهم واهمون حقّاً !

صحيح أنّه ليس من العدل ترك من يحاول أن يجرّ مركبة الاسلام بـعيداً عـن ساحل الأمان والسلام، وصحيح أيضاً أنّه ليس من المصلحة التجرّي والقفز على الموائد للقبض على أولئك الشرذمة من «المتفقّهين» الجّهال، وإلحاق الضـرر بـهم باشعال النار فيهم وبالمركبة معاً مثلاً!!

فالمصلح الغيور، والداعية المتديّن، وإلى أيّ مذهبٍ ينتمي، ينبغي عليه أن يتذكّر شيئين من قبل أن يخوض غمار عمله:

الأول: أنّ لكل مذهب أو طائفة تاريخاً حيوياً يضرب جذوره في الأعماق، إلى درجة نعتقد معها أنّه يصعب شطبه. يودّ كلٌّ منهم أن يلاقي احـترام الغـير له، وألّا يستمرّ «الآخرون» في المساهمة في الإنقاص مـن مكـانته، وقـدسية انـجازاتـه، بالانسياق وراء الأفكار والادّعاءات التي تحاول أن تجرّده من كلّ ابداعاته الفكرية

والأدبية والإنسانية التي قدّمها في سبيل رفعة هذا الدين وسمّو الأُمة الكبيرة.

الثاني: أنّ ماضينا الإسلامي بكلّ تنوّعاته ـ في النجاحات كما في الإخفاقات ـ هو ملك لكلّ أفراد الأُمة، وليس لأيّ أحدٍ منّا أن يستأثر بالجيد، ويتنصّل من السيّء.

وتأتي هذه الملكية للتاريخ من فكرة أنّه لايستطيع أيّ فرد إثبات أنّ سلسلة أجداده كانوا في اتجاهٍ واحدٍ، ولم يكونوا في اتجاهات متضاربة.

ومن هنا نجد أنّه ليس من مصلحة أيّ فردٍ عاقلٍ أن يتناول تاريخ أيّ فرقةٍ من فرق دينه المشهورة والمعترف بها من زاوية «كيدية» لأنّه يكون حينها كمن يتناول نفسه، ويبصق في وجهه! وطبيعي لايقبل بهذا الفعل سوىٰ المجانين!!

لذا نرىٰ أنّ قراءة الماضي ينبغي بالضرورة أن تتحلّىٰ بالموضوعيةالعلمية المحضة، وتتخلّىٰ عن الاندفاع باتّجاه إثارة حفيظة «الآخرين»، لأنّه السبيل الوحيد الذي يضمن سير العملية التكاملية لأُمتنا المجيدة، ويدفع كلّ الطوائف إلى المشاركة الفعّالة من أجل إعلاء كلمة الإسلام عالياً.

وهذا الكتاب الذي يرقد بين أيدينا، يعدّ من الكتب التي تخطّت الأزمنة بجرأة، ولامست مواضيع حسّاسة بموضوعية جديرة بالتقدير. قدخطّته يراعة الأستاذ والمصلح المعروف سيد هادي خسروشاهي، فتناول فيه بالدراسة والتحليل والمناقشة لمحطّة مهمّة من محطّات تاريخ التشيّع، بمنطق علمي سليم، ولغة سامية تترفّع عن المنهج الضحل، وأُسلوب يتمتّع بالرصانة والموضوعية، يأخذ مبدأ احترام الغير أساساً له.

فهو قد يكون مثيراً لتعاطيه جانبٍ حسّاس طالما أثاره أعداء الدين وأهل البيتعليهم السلام . لكنّه اكتسب إثارة أكبر في أُسلوب دفاعه وردّه بقلم جذّاب يشدّ القلوب قبل العقول، ينبض بالاحترام والحيوية.

والكاتب رغم تركيزه على المحور الأساسي الذي يحمله عنوان الكتاب، وجهده الكبير في إبراز الجذور التاريخية لهذه «الأُسطورة» بصورة مختصرة، لكنّه يتعرّض

إلى جوانب أخرىٰ ترتبط بالمحور الأساسي؛ كالبحث الموجز عن الوحدة والتقريب، ومحاولة التعريف بالخطوة الأُولىٰ على طريق الإخاء والوئام، ثم سلسلة ردوده الموجزة لبعض الشبهات التي أثارتها بعض المجلّات... حيث ضمّها كملاحق للكتاب، قد تجلب المتعة والمنفعة في مواضيعها وطريقة عرضها الرشيق.

فهو بذلك ينقل القارئ من محطة إلى أخرىٰ، تتخلّلها أزمنة متباعدة من الأحداث ما قد يكون جديداً لدىٰ قسم كبيرٍ من القرّاء.

إنّ هذا الأسلوب الرشيق الذي اتّخذه المؤلّف في كتابة بحثه الممتع، وما شحنه بدفء المحبّة للآخرين، إنّما يترجم نظرته التقريبية، ورغبته في التأكيد على ضرورة تعزيز الوشائج بين أوصال هذه الأُمة بجميع فرقائها، خاصة والأُمة تمرّ في مرحلة خطيرة ومثيرة.

وهذا مادعا المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، من خلال مركزه العلمي، إلى تبنّي طبع هذا الكتاب ونشره بحلّة قشيبة تتناسب ومكانته، وجعله في متناول الجميع، سيّما ممّن يرغب في ضخّ الأُمة بالحبّ والأُلفة، وإرفادها بالقوة المستمدّة من التكاتف والوحدة ورصّ الصفوف أمام أعداء أُمتنا المرحومة.

ولايسعنا في الختام سوىٰ تقديم الشكر والثناء للمؤلّف أدام الله عزّه، والتأكيد علىٰ نقطة مهمّة هنا، وهي أنّه من الأهمية بمكان أن نحافظ علىٰ هدوئنا ونحن نشهد مثل هذا النوع من الادّعاءات من أيّ جهةٍ كانت، ونحاول أن نُعمل عقولنا في تتبّع وتفحّص دقيقين لما يُطرح من تُهم تمسّ كرامة أيّ مذهب إسلامي بارز، وهو يتمتّع باحترام وتقدير باقي المذاهب، ونحاول أيضاً أن نستخلص العبر كما صنعت الأُمم الأخرىٰ التي تجاوزت هذه الحالة بنجاح، وبلغت في التقدّم شوطاً كبيراً، والله هو الموفّق والمعين.

مركز التحقيقات والدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

مقدّمة المؤلّف

شكّلت عقلية الماضي التي تهيمن على تصوّرات بعض المسلمين اليوم أزمةً كبيرةً حالت دون تناولهم مفاهيم الإسلام ودروسه وأصوله وتاريخه تناولاً صحيحاً، ومن جانبٍ آخر شكّلت أيضاً أزمةً في التعامل مع «الآخر» من حيث قبوله والتعايش معه.

وتتجلّى هذه الأزمة اليوم في ذلك الصدام المفتعل بين الشيعة والسنّة على أساس قضايا مزعومة هي من خلق الماضي، لاصلة لها بالحاضر، وعلىٰ رأس هذه القضايا قضية «ابن سبأ» وماتمّ ربطه به من أحداث ومفاهيم ومعتقدات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

ولقد سقط الكثير من الباحثين المعاصرين ممّن سلّموا أنفسهم لعقلية الماضي، ضحية هذه الشخصية المزعومة، وقام ببناء صرح من المفاهيم والمعتقدات على أساس هذه الشخصية لكنّه كان صرحاً من الرمال، لم يصمد طويلاً أمام رياح الواقع.

كانت شخصية «ابن سبأ» من صنع بعض كتب الفرق بعد سنة ٣١٠هـ على ما سيتبيّن للقارئ من خلال هذا الكتاب.

واعتماداً على عقلية الماضي لم يبذل الباحثون القدر الكافي من الجهد العلمي والمنهجي حول هذه الشخصية المزعومة، بل تلقّفوها من الماضي كما لو كانت نصّاً

صريحاً متواتراً. وكان الأجدر بهؤلاء أن يتحلّوا بالموضوعية والعدل الذي هو روح الإسلام وأساسه قبل تبنّيهم هذه الشخصية الخيالية ودفاعهم عنها، ذلك الموقف الذي تسبّب في إثارة الشبهات حول قطاع كبير من المسلمين، والتشكيك في معتقداتهم، ممّا نتج عنه إثارة الفرقة والشقاق بين هذا القطاع ـ المتمثّل في الشيعة ـ وبين قطاعات المسلمين الأخرى.

إنّ الذين يتصدّون أمر الدعوة إلى الإسلام اليوم عليهم أن يدركوا خطورة ما يبثّونه من مفاهيم ومعتقدات ووقائع تتعلّق بأسطورة شخصية «ابن سبأ» وضرورة عدم التقوّل بها دون براهين عقلية ونقلية قاطعة، لأنّ ذلك يعني إعلان الحرب على الشيعة الذين يشكّلون جزءاً لايُستهان به من مجموع المسلمين، في الوقت الذي أعلنت الحرب على الإسلام في كل مكان.

لستُ أدري، أهو الجهل بما تحيط بنا من مخطّطات أعداء الاسلام، أم الغفلة عمّا ينبغي علينا صنعه في ظلّ حاضر يفرض علينا أن نتسلّح بالوعي والوحدة والتكاتف في مواجهة المؤامرات التي تحاصر الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى تفريقهم وإضعافهم.

وإذا كان الذين يفجّرون قضية «ابن سبأ» ما بين الحين والآخر حريصين على الإسلام، فلماذا لم يفجّروا قضايا أخرىٰ من شأنها تزيد من تماسك المسلمين، وتعزّز من شعار الإسلام وسط العالمين، من خلال بثّ الكثير من العقائد والمفاهيم والأحكام التي تشيع المحبّة والأُلفة بين المسلمين، وتقوّي الروابط بين فئات الناس اليوم.

إنّ من دواعي الحبّ والتقوى، أن نقول: إنّه يفترض على الكتّاب والباحثين اليوم التوقّف بعناية عند نشر كلّ ما يتعلّق «ابن سبأ» وأمثالها، وتقصّي الحقائق جيّداً من قبل إشاعتها بين المسلمين.

إنّ الذين يتسلّحون بعقلية الماضي، واكتفوا بمصادره التي كثر الجدل من حولها،

أحرىٰ بهم أن يقفوا أيضاً علىٰ المصادر المعاصرة التي تتعرّض إلى شخصية «ابن سبأ»، مثل كتاب «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين وأمثاله من عمالقة الأدب والفكر العربي الاسلامي.

فمن أجدر من علمائنا ومثقّفينا وكتّابنا في التعاون على رفع التناحر بين المسلمين، وتعزيز وحدتهم وتآلفهم، واحترام رموز فرقهم ومقدّساتهم؟

وممّا يؤسف له حقاً أن يشارك بعض رجال الدين في إشعال نار الفتنة بين المسلمين، بالعمل على إحياء فكرة «السبئية» ثم محاولة ربط التشيّع لآل البيت عليهم السلام بالجذور اليهودية!.[١]

والسؤال هنا: كيف ستكون عليه المعادلة الاسلامية فيما لو كان قوامها التفريق والتناحر والاختلاف؟

ثم كيف الأمر لو استبدل بالتآلف والوحدة والتقريب؟

التقريب والوحدة

إنّ مظاهر الصلاح والفساد التي تلاحظ على الصعيد الاجتماعي، هي حالات متحرّكة ومتغيّرة ذات صلة بإرادة الإنسان، وتخضع عادةً لمتبنّيات وعوامل فكرية أو عقائدية تشكّل مسبّبات وعللاً أساسية، وهي التي انتجت هذه الظاهرة أو تلك، فالنزاع والتخاصم والفرقة أو الوحدة والوئام والتقارب، كلّها تمثّل ظاهرةً تبرز في حياة الأمة هنا وهناك، لتحكي مستوى حيويتها ورساليتها، أو عبثيتها وعشوائيتها، فهي ليست مستثناة في حياة الإنسان، بل هي دون شكّ مرتبطة بسنن الله في

---

١. فقد صدرت عن أحد الدارسين بالأزهر مؤخّراً رسالة (ماجستير) بعنوان (السنّة النبوية في كتابات أعداء الإسلام) وهي دراسة موجّهة نحو الشيعة بالخصوص. كما وصدر أيضاً كتاب آخر تحت عنوان «الجذور اليهودية للشيعة» للدكتور عبدالمنعم البري، أحد المنتسبين للأزهر سابقاً!! وهناك كتب أخرى تنشر بين الحين والآخر في إيجاد الفرقة بين المسلمين: السنّة والشيعة بأسماء مختلفة، والظريف أنّهم يسمّون أنفسهم بالسلفية أو أنصار السنّة المحمدية!!

المجتمع والحياة لكلّ الأمم.

والإسلام يدعو لبناء مجتمع التوحيد والعدل، ونبذ الجهل؛ إيماناً منه بأنّ الجهل ينتج النزاع والخلاف، ويهشّم صرح الوحدة والبناء، وبعكسه، الثقافة والعلم اللذان يريدهما الإسلام، فهما يشكّلان عنصراً هاماً وحيوياً في حياة الأمة ومسيرتها التكاملية، إذ يؤدّيان إلى تنمية المجتمع وتكامله، لذا فقد شخّص الإسلام البنى التحتية من الأفكار التي تنتج لنا مظاهر الوحدة والمحبّة والإخاء، وزوّد المسلم بالوعي والبصيرة، وسلّحه بالنظرة الفاحصة للأمور، ليكون موقفه إزاء التركة الثقافية أو الظواهر السلبية التي خلّفتها ظروف الانحطاط والتخلّف موقفاً مسؤولاً غير منفعل بها، بل يستوعبها لغرض المعالجة بهدي إلهي حقيقي، ووعي رسالي ثاقب.

فإذا كانت الوحدة تعني في منظورها الإسلامي: الإسلام وقوته أو الإسلام وشموليته، والتقريب يعني: خطوة أو مفردة أو مجموعة مفردات إسلامية ذات صيغة عملية تهيّئ لإيجاد الوحدة، فهذا الوعي للوحدة والتقريب بلا إشكال يدفع صاحبه للبحث عن تلك المفردات على أمل أن تحقّق الوحدة في أجوائها السليمة، فيلتقط المحبّ الهادف كلّ مفردة حقيقية ذات مساس بقضية الوحدة كالنحلة حين تمتصّ رحيق الزهور، فيميّزها جلياً لالبس فيه، ليكون واضحاً عنده ما هي المفردة التي تعمّق الخلاف بين المسلمين ليتجنّبها، ثم ما هي الحالة النفسية، سواء كانت ذات منشأ سياسي أو انفعالي، والمنقطعة الصلة بالعقيدة، وتسبّب هدر الطاقات الإسلامية وضياعها.

كما ينبغي أن يدرك صاحب هذا الاتّجاه ويفرّق بين معنى القسوة والغلظة مع الأعداء، ومعنى كونهم أذلّة ورحماء تجاه المسلمين والمؤمنين.

ثم لابدّ من التمييز والتفريق بدقّة بين الأمور التي تصبّ في مصلحة الإسلام والأمة الإسلامية وبين القضايا التي تضرّ بهما.

ولا تقف المسألة إلى هذا الحدّ، وإنّما تستدعي معرفة المعيار الإسلامي الذي

توزن على أساسه المفردات، والعوامل التي ينبغي العمل بموجبها في هذا الحقل أو ذاك، رغبةً في التخلص من الظواهر السلبية. وهذا المعيار يتجسّد بالقاعدة الفكرية للمفاهيم التي يلتقي على ضوئها المسلمون في تصوّراتهم؛ كالتوحيد والنبوة والمعاد، وفروعها؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغيرها من المفردات الأخرى ذات الصلة بهذه المفاهيم.

وانطلاقاً من كلّ ذلك لايمنع أن نرىٰ بعض الاختلافات باعتبارها خصوصيات أفرزها العقل والنظر العلمي، أو قل: موقفاً تترتّب على أساسه فكرة في ظلّ ظروف ومناخات مرّت بها الأمة، ونقبل به على أساس مقولة: إنّ الوحدة المطلقة في حركة العقل لا تتحقّق على مستوى كل التفاصيل في الأفكار والمواقف. لأنّه ما من قاعدة إلّا ولها استثناء، فيفسّر الاختلاف في بعض المجالات العامة كاستثناءٍ مسموحٍ به في إطار الاجتهاد العلمي، فيجعل للمسألة بُعداً تجزيئياً لاحتمية فيه للوحدة خاصةً حينما نواجه الأشياء الصغيرة في حقولها المتعدّدة.

وهذه المسألة تدعونا إلى عدم السماح لتحوّل الجزئي في الاختلاف الفكري إلى حاجزٍ يؤدّي إلى تقطيع أوصال الكلّ وتخريب وحدته، وقد وقع البعض من الناس فريسة هذا التفكير، إذ جعل الفاصل الجزئي الصغير أو الموقف الطارئ الذي يسلكه هذا المذهب أو ذاك، صفةً عقائديةً أساسيةً، لأنّ منظورهم للوحدة هو ذوبان التفاصيل في الكلّ، بل رفض أيّ جزءٍ مختلفٍ فيه عند الآخر حتى لو كان فارغ المعنىٰ والتأثير.

ونهاية الأمر، فقد أفرز لنا هذا التفكير المصحوب بالموقف إزاء الجزئيات إسلاماً متعدّداً وجماعات متفرّقةً، بدل الإسلام الواحد والأمة الواحدة.

والصحيح أنّ القضية في بُعدها الثقافي هي التي تحدّد الموقف العلمي، فثقافة القرآن تدعو للوحدة باعتبارها مبدأً أصيلاً. فقد تناول القرآن صيغاً عملية، واستعرض المفردات المشتركة بين الأديان المختلفة، وجعلها الأساس في تناول

نقاط الاختلاف التي تثير الإحساس والمشاعر سلباً، وتقف حائلاً دون تحقيق الوحدة، من باب خلق الأجواء الودّية، والانفتاح على الرأي الآخر.

لقد تناول المشتركات بين الأديان لتكون عنصراً للتقريب، فركّز على قصص الأنبياء ودعوتهم الكبرى ذات القواسم المشتركة.

ووفق هذا التأسيس، فإنّنا لا نريد أن ندعو الشيعي أو السنّي لأن يذوب كلّ واحدٍ منهما في معتقدات الطرف الآخر، ويتنازل عن كلّ ما يعتقد بصحّته أو ما يميّزه من خصوصيات، فهذا ما لا نريده ولا ندعو إليه، وإنّما هو البحث عن القواعد المشتركة عند الطرفين، والعمل على أساسها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[2].

والمقصود بالحبل ـ على أكثر التفاسير ـ هو الإسلام والإيمان، وقد جسّد الإمام علي عليه السلام هذا المبدأ عملياً حين اختلف مع الغير في مسألة الخلافة، قائلاً:

«لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصةً»[3].

لقد أبقى الإمام علاقته الودّية مع من اختلف معهم من الصحابة، وانفتح بها على أساس مصلحة الإسلام العليا، ولم يسمح بنشوء جدار عازل بينه وبين الذين اختلف معهم في مفردات الإسلام وتشريعاته ما دام أنّ هناك جامعاً ومشتركاً بينهما يستطيع أن يحفظ بواسطته الإسلام، فالإخلاص للإسلام، وانطلاقه من مبدأ حفظ مصلحة الإسلام العليا، هو السرّ الذي دفع بالإمام نحو هذا الموقف.

كما يكشف عن إخلاص الإمام علي عليه السلام للإسلام موقفه من الخليفة الثاني حين

---

١. النساء: ٥٩.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. نهج البلاغة: الخطبة (٧٤).

استشاره في أن يذهب مع الجيش إلى بلاد فارس أم لا، فأجابه قائلاً: «لاتذهب، فأنت رأس الأمر وسنامه».

فإنّ الإمام علياً عليه السلام لم يفكّر بالخليفة الثاني كفرد عادي، ولم يفكّر بذاته ومكاسبه السياسية، بل انطلق من مصلحة الإسلام.

هذا على صعيد الموقف، أمّا على صعيد الفكرة فلو قال أهل السنّة: إنّ بعضاً من الشيعة قد اعتقد بتحريف القرآن، وجاء من الشيعة واتّهم السنّة بنفس الشيء، فهل يصحّ أن يأتي غيرهم ويقول: إنّ المسلمين لايعتقدون بسلامة وقطعية القرآن الكريم بناءً على اتّهام كلٍّ منهما للآخر بتحريف القرآن الكريم؟

وهذا ما فعلته الموسوعة الإسلامية البريطانية، وبعض المستشرقين أيضاً، حيث وظّفوا هذا الاختلاف لأغراض خبيثة في تشويه الإسلام، والطعن بأُسسه القطعية.

إذن فالمسألة ينبغي أن تناقش على أساس القواسم المشتركة، فـأئمة الشيعة والسنّة وعلماؤهم لايعتقدون بالتحريف إطلاقاً، ولا عبرة لأقوالٍ شاذّةٍ أطلقها بعض الشيعة وبعض السنّة، وهم شرذمة قليلة لايعتدّ بكلامها، فتكون النتيجة أنّ علماء المدرستين لايعتقدون بالتحريف على الإطلاق.

المراد من التقريب بين المذاهب

إنّنا حينما نتكلّم عن التوحيد بين فرق المسلمين، ننفي أولاً رفع اليد عن نقاط الفرق بين المذاهب، سواء الأساسية منها كما هو الحال في معرفة الإمام ومعرفة شخص الإمام، أو الفرعية منها كما في الخلافات الموجودة على مستوى الفروع الفقهية، كبعض الفوارق التي توجد في الوضوء أو في الصلاة أو في الحج أو غيرها، فحينما نؤكّد ضرورة التوحيد لانقصد بذلك ضرورة رفع هذه الاختلافات عنه، لأنّ ذلك يعني مسخ هوية المذهب.

وننفي ثانياً الامتناع عن البحث عن حقّانية هذا المذهب أو ذاك، وعن صحّة هذا

الرأي أو ذاك من الرأيين المختلفين، في أصول المذهب كالإمامة، أو الفروع ممثّلاً في الصلاة والصوم، بل يجب أن يبقى باب النقاش الحرّ الموضوعي السليم مفتوحاً على مصراعيه، كما هو الحال تماماً في النقاش بين الاتّجاهات المختلفة لدى علماء مختلفين ضمن إطار مذهبٍ واحدٍ، فإنّ طريق النمو العلمي، وطريق اكتشاف الحقيقة: النقاش والبحث في المسائل المختلف فيها، وسدّ هذا الباب يعني سدّ باب الوصول إلى الحقيقة، والمنع عن النمو العلمي، وهذه خطيئة لاتغتفر.

إلى جانب ذلك نرى ضرورة التآزر، والتكاتف والتناصر، والعيش الأخوي، وتراصّ الصفّ، والتراحم والتعاطف، ودفاع بعضهم عن بعض، بين الفرق والفئات المختلفة والمذاهب المتشتّتة، الذين يجمعهم الإيمان بالأُصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، وذلك بوصفهم معتنقين لدينٍ واحدٍ، فهم مشمولون للنصّ المروي عن رسول الله ﷺ:

«المسلمون إخوة، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[١].

ولابدّ أن ندين بدين الله بهذه الوحدة فيما بيننا، سواء اعترف إخواننا الآخرون بذلك أم خالفوا. والذي يدلّنا على وجوب هذا التوحيد أُمور:

الشريعة والدعوة إلى الوحدة

لقد جعلت الشريعة الإسلامية كلّ فرق المسلمين سواءً في الحقوق، فالشيعي يرث السنّي، والسنّي يرث الشيعي، وحقوق الزوج على الزوجة لاتختلف باختلافهما في المذهب أو عدم اختلافهما، ولا يشترط في أصل الزواج اتّفاقهما في المذهب.

وفي القصاص والديات، لافرق بين شيعي وسنّي أو سائر فرق الإسلام، فكلّ المسلمين في جميع هذه الحقوق وما إليها هم من وجهة نظر الفقه الإسلامي

---

١. الوسائل للعلامة الشيخ الحر العاملي ٣١: ١١ من قصاص النفس، ح ١.

المصرّح به من قبل جميع العلماء الأعلام سواء كأسنان المشط، ولئن دلّ هذا على شيءٍ، فإنّما يدلّ على أنّ الشريعة الإسلامية أرادتهم جسماً واحداً وأُمة واحدة، ولم تردهم متفرّقين متشتّتين، يعادي بعضهم بعضاً.

إنّ التصريحات الأكيدة في روايات أهل البيت عليهم السلام تؤكّد على وحدة المسلمين من خلال صلة العشائر والأرحام والخلطاء من الناس، وعيادة مرضاهم، وشهادة جنائزهم، وأداء أماناتهم، وما إلى ذلك من حسن السيرة معهم وإن اختلفوا في المذهب.

فها هو الحديث المروي في (الكافي) للعلّامة الشيخ الكليني بسند صحيح، عن معاوية بن وهب، قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟ قال عليه السلام:

«تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم»[1].

وأيضاً روي في الكافي بسند صحيح عن زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السلام: **«صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر، فوالله لحدّثني أبي عليه السلام: أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث»**[2].

---

١. الكافي ٢: ٦٣٦ من كتاب العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة، ح ٤.

٢. المصدر السابق.

هذا كلّه يعني أنّ ائمتنا عليهم السلام لم يكونوا يقبلون بأيّ تمييز في طريقة التعامل وحسن التصرّف بين أبناء المذاهب المختلفة، ما داموا جميعاً مسلمين.

وممّا يؤيّد ما استنتجناه من بعض الروايات الصحيحة السند الواردة لدى الشيعة عن ائمتهم، الدالّة على أنّ (من صلّى خلف الإخوة السنّة في الصف الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله)[١].

وقد ورد في رواية أخرى: «إنّ المصلّي خلفهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله»[٢].

وقد أفتى بوجوب الصلاة خلفهم، وخاصّةً بلحاظ أيام الحج، سماحة السيد الإمام الخميني (رضوان الله عليه).

وعلى جميع المسلمين أن يلحظوا أنّ موقف أعداء الإسلام الشرس تجاه جميع المسلمين واحد، وأنّهم لا يفرّقون بين مذهب وآخر.

كما أنّ دعوة الإسلام لاتقتصر على زمان دون زمان، ولا على جيل دون آخر، فهي دعوة عالمية تستقطب إلى نورها البشر جميعاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٣].

ولكنّ الإسلام بعالميته هذه لا يراد له أن ينتشر أُفقياً دون أن يحقّق لهؤلاء الناس في الوقت ذاته ربطاً عميقاً محكماً يشدّ بعضهم إلى بعضٍ برباط الأُمة الواحدة: ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٤].

وتستند عملية الربط هذه إلى أُسس ومنطلقات يتحتّم تركيزها من خلال دافع التكليف الإلهي، والبُعد عن كلّ ما يؤودها ويخلّ بها بوازع من المسؤولية الشرعية.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وسنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مستقرئين تلك الأُسس،

---

١. انظر الوسائل ٨: ٢٩٩ و٣٠٠، ب ٥، صلاة الجماعة، ح ١ و٤.

٢. انظر المصدر السابق: ٣٠١، ح ٧.

٣. سبأ: ٢٨.

٤. الأنبياء: ٩٢.

ومتلمّسين تلك المنطلقات، لوجدنا أنّ الإسلام يعتبر الأُمة المسلمة بمثابة أُسرة واحدة لها قيّم يشرف على شؤونها، ويدبّر أُمورها.

وأمّا ما يشدّ هذه الأُمة بعضها إلى بعض، فهو روح أُخوّةٍ نبيلة، لا يفجّرها فقط العطف والمحبّة والحنان، وإنّما هي أُخوّة مسؤولية تتحمّل أعباءها بوعي وحيوية وعمق، وتؤثّر آثارها الإيجابية على الصعيد العملي والواقع الخارجي:

فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ثم فرّع على ذلك: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. ثم فرّع على ذلك: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ﴾[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّما المؤمنون إخوة بنو أبٍ وأُم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»[3].

فالإسلام يسعى لإيجاد وحدة حقيقية تقوم على أساس الأُخوّة المسؤولة الواعية، فإنّنا إذا راجعنا التاريخ الإسلامي سنجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين في المدينة، قد جعل تلك الأُخوّة تستند إلى أمرين اثنين هما: الحقّ والمواساة.

فالحقّ هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات، وتبنى عليه المعاملات، وليس المصالح الشخصية، ولا الأهواء، ولا الميول، ولا الانفعالات العاطفية، ولا المصالح القبلية، أو الإقليمية، أو الفئوية، أو غيرها.

وعن طريق الحقّ يحصل التفاهم، ثم الرضى، ثم الثقة المتبادلة، ويكون من ثم هو الفيصل في كلّ مقام تختلف فيه الأهواء والمصالح.

---

١. الحجرات: ١٠.

٢. التوبة: ٧١.

٣. بحار الأنوار للعلّامة محمد باقر المجلسي ٧٤: ٢٦٤.

وإذا توصّل إلى الحقّ بنتيجة الإحساس بالمسؤولية الشرعية والإنسانية، ومن خلال الأخوّة والمحبّة والحنان، فذلك أضمن لبقائه واستمراره، بخلاف ما إذا جاء عن طريق التحدّي والقوة والعصا، فإنّ علينا أن ننتظر غياب الحقّ آنذاك بمجرد غياب تلك العصا وهاتيك القوة.

والمواساة تعني درجة أعلى من العدل، لأنّها تقتضي في أحيان كثيرة البذل والتضحية لصالح الآخرين، والتخلّي عن كثير ما نكتسبه لأنفسنا من خلال العدل الذي يرجع بدوره إلى الحقّ.

وعن طريق المواساة تستطيع الأُمة مواجهة الظروف الطارئة، والتقليل من آثارها السلبية، كذلك مواجهة جميع أشكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها عليها أعداؤها من سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها، بهدف القضاء عليها، أو امتصاص طاقتها الإيمانية.

الوحدة ضرورة إنسانية

فالوحدة إذاً ضرورة إنسانية ومصيرية للأمة، ولكنّها تحتاج إلى كثيرٍ من الوقت والجهد، وكثيرٍ من البحث والتمحيص للحقائق العلمية، ثم إلى تربية نفسية لخلق درجةٍ من الاستعداد والسمّو لتحقيقها.

وريثما يتحقّق ذلك لايمكن للأُمة أن تترك خطر أعدائها يجتاحها، ويلتهم مقدراتها، ويستأصل شأفة الإسلام والمسلمين، بل لابدّ لها من تعامل وحدوي فيما بينها.

وهذا الاتّحاد، أو قل: هذا التعامل الوحدوي، مطلوب إسلامياً، ومحبوب بمختلف أبعاده ودرجاته، وعلى جميع المستويات، ولكنّه ليس هو كلّ المطلوب، وإنّما هو بديل اضطراري مؤقّت لابدّ من القبول والرضا به بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية على أُسسها الإسلامية والإنسانية والواقعية.

وعلى طريق الوحدة والاتّحاد بين المسلمين، وفي طولهما، تصبح الحاجة ماسّة إلى التقريب بينهم، والتعارف والتفاهم، وتبادل وجهات النظر، وإطلاع أتباع كلّ مذهب على المذهب الآخر من مصادره، وعلى ألسنة علمائه، ومن خلال أقلامهم، وبعيداً عن العقد والحواجز.

ولقد بذل المخلصون من المفكّرين والعلماء على مرّ العصور محاولات كثيرة في هذه السبيل، ونستطيع أن نذكر مثالاً على ذلك في خصوص العصر الحاضر، هو مبادرة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدّس الله نفسه الزكية إلى تأسيس دار التقريب مع مشايخ الأزهر الشريف، ثم فتوى الشيخ محمود شلتوت ﵀ بصحة وجواز التعبّد بالمذهب الشيعي... وكان من روّاد التقريب في مصر ـ القاهرة، العلّامة الإيراني الجليل الشيخ محمد تقي القمي، صديق شيوخ الأزهر الشريف.

ولابدّ من أن نخصّ بالذكر جهود آية الله العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي الذي ألّف كتابه المهم «المراجعات»، وكتابه القيّم «الفصول المهمة في تأليف الأُمة» وقد ذكر فيه الكثير والكثير ممّا يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين.

وعلى الصعيد الفكري، فإنّ المحاولات كثيرة ومتنوّعة، ومنها إقامة العديد من المؤتمرات، وكتابة البحوث الكثيرة، ونشر مجلّتي «رسالة الإسلام» من القاهرة، و«رسالة التقريب» من طهران... وغير ذلك.

وما أروع أن يبادر العلماء المسلمون إلى تشكيل لجانٍ مشتركة لدراسة الموضوعات المتّفق عليها أولاً وتمييزها، ثم دراسة المسائل الخلافية بروح علمية نبيلة، تهدف إلى رضا الله سبحانه، وخدمة الإنسان والإنسانية، والاعتماد على الثقة المتبادلة، والإحساس بالمسؤولية الشرعية والوجدانية!

على أنّنا يجب أن نسعى في معالجة أسباب الاختلاف، ومعرفة أسباب الاختلاف يتمثّل الخطوة الأولى والأساسية في العلاج، والشأن في ذلك هو شأن تشخيص المرض الذي يمثّل الخطوة المهمة في العلاج.

ويمكن إرجاع الأسباب الرئيسية إلى الهوى، والتعصّب المذموم، والتخلّف الأخلاقي في معالجة القضايا، والنشاط المعادي للإسلام الذي يسعى للتخريب بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، من خلال إثارة الفتن، والتركيز على نقاط الضعف والإثارة، وشراء ذوي القلوب المريضة لتسخيرهم لأداء هذه المهمة، والجهل بأوضاع المسلمين ومعتقداتهم، والاعتماد في معرفة ذلك على الإشاعات والتهم، أو الروايات والأقوال الشاذّة في هذا المذهب أو ذاك، والاختلاف في ثبوت النصّ الشرعي المروي عن النبي ﷺ أو الائمة عليهم السلام أو العلماء الذين ينتسبون لهذا المذهب أو ذاك، ذات الطابع الموضوعي والعلمي، وذلك بسبب الفصل الزمني الكبير بين زمن صدور النصّ وأيامنا هذه، حيث وقع في النصوص الاختلاف والتزوير، والخطأ والاشتباه في النقل، والاختلاف في فهم النصّ، ومقارنته بالنصوص الأخرى، حيث إنّ القرآن الكريم الذي ثبت نصّه بالتواتر، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وعام وخاصّ، وأحاطت به القرائن الحالية التي تسمّى بأسباب النزول، والتي تلقي ضوءاً على فهمه وتفسيره، وهكذا الحال أيضاً في النصوص المروية في السنّة النبوية.

ولا شكّ أنّ معالجة هذه الأسباب مختلفة، في طرقها ووسائلها، ولابدّ من دراسة كلّ واحدٍ منها، ووضع الأساليب لهذه المعالجة.

فالتربية الأخلاقية العالية، والتقوى، والتعصّب لله تعالى، والحرص على المصالح الإسلامية، وتشخيص الأعداء والحذر من مؤامراتهم وأعمالهم ونشاطهم، وكذلك البحث عن معتقدات ومتبنّيات المذاهب الإسلامية من مصادرها النقية، والاعتماد في ذلك على أقوال ائمة هذه المذاهب المعروفة من منطلق الأخوّة الإسلامية، وحسن الظن، وروح التفاهم والمحبّة ووضع القواعد والأُصول والضوابط المستنبطة من القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة في إثبات النصّ، واتّباع منهج الحوار العلمي الموضوعي، والمناقشة الهادئة، والدليل المنطقي والشرعي... يمثّل كلّ ذلك أفضل الطرق للعلاج.

هذا الكتاب

والنموذج الذي بين أيدينا، وهو كتاب «عبدالله بن سبأ بين الواقع والخيال» فقد راعينا فيه المنهج الذي أشرنا إليه سلفاً، ولم نعمد فيه إلى تهشيم العناصر الصحيحة لهذه المفردة التاريخية، كأن نتناول عنصراً سلبياً يضرّ بالحالة الاسلامية والتراث الإسلامي المجمع عليه، بل حرصنا على تناول هذه المفردة التاريخية من خلال عناصرها المختلفة، والانطلاق في بحثها من منطلق المصلحة الإسلامية العليا، وحفظاً للأمانة التاريخية، بغضّ النظر عن الهوية المذهبية الخاصة للسنّة أو الشيعة، وإنّما من خلال خطاب العقل الإسلامي المحسوب على الإسلام، الحامل لهموم الرسالة، ولذا برزت في الكتاب عدّة مزايا تفرده عن غيرها، منها:

الأولى: طبيعة اختيارنا لأصل الموضوع ثم تعدّد الاستدلالات فيه، فلم ننهج منهجاً أُحادياً، بل تناولنا منهج الدكتور طه حسين والنتيجة التي انتهى اليها حين درس عبدالله بن سبأ في التاريخ، وتناولنا أيضاً دراسة الدكتور علي الوردي ذات المنحى الاجتماعي الذي يثري البحث بنتيجة أخرى، وكذا منهج العلّامة السيد مرتضى العسكري وغيرهم من الدارسين والباحثين، لينتهي الجميع ومن خلال عقد مقارنة علمية إلى نفس النتيجة وإن اختلفت مناهجهم.

والميزة الثانية: ابتعادنا عن لغة التشنّج والانفعال، أو كيل التهم والشتائم، لتكون لغته لغة الحوار والنقاش والدليل العلمي.

والثالثة: إشراك القارئ الكريم من حيث لا يشعر في صورة البحث، لنلقي الحكم والمسؤولية عليه، ولا نقصرها علينا كباحثين واخصّائيين على هذا الصعيد.

نأمل من ذوي الاختصاص، وأهل العلم والعمل والإصلاح في الأزهر الشريف، وفي كلّ الأوساط العلمية في الأُمة الاسلامية، أن يلتقطوا تلك المفردات باعتبارها عناصر إسلامية تساهم في عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية، انطلاقاً من

المسؤولية الرسالية، ومن أجل مصلحة الإسلام وخدمة أهدافه الإلهية العليا.

وختاماً، ليست هذه الرسالة[١] سوى فاتحة لدراسة كبيرة حول موضوع «ابن سبأ» سوف تنشر قريباً بإذن الله تعالى، إذ أنّ الساحة الفكرية والثقافية لاتزال في حاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات الجادّة التي تسهم في تشكيل عقلية المسلم المعاصر حتّى يؤدّي دوره بفاعلية في خدمة هذا الدين ووحدة الأمة الإسلامية جمعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سيد هادي خسرو شاهي
القاهرة / رمضان المبارك ١٤٢٤هـ

---

١. هذه الدراسة المختصرة كتبتها كإيضاح لأحدى مباحث كتاب «الشيعة والتشيع» لأستاذنا العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي. وقد نقلها إلى العربية الأخ الأستاذ خالد توفيق (جواد علي كسار) ضمن ترجمته لمجموعة آثار العلّامة الطباطبائي، وطبعت في قم ـ إيران، ونحن ننشرها اليوم مزيدة ومنقّحة، وكرسالة مستقلّة لتعمّ الفائدة.

الفصل الأول:

من هو عبدالله بن سبأ

وما حقيقته وقصة إسلامه

حقيقة ابن سبأ وقصة إسلامه

ليست قليلة هي تلك التهم التي رمى بها أعداء الإسلام الشيعة والتشيّع بحيث يمكن عدّها في واحدة أو اثنتين، وإنّما هي من الكثرة بحيث يحتاج جمعها والجواب عليها تأليف كتب كثيرة ومتعدّدة.

وقد أشير إلى بعض تلك التهم الأساسية التي أثارها أعداء الإسلام، ممّا تتّسم بجوانب تاريخية. هذه التهم لم تصدر من جانب المتعصّبين من المسلمين وحدهم، بل إنّما أصبح الشيعة غرضاً في القرن أو القرنين الأخيرين لسهام المستشرقين المغرضين من اليهود والنصرانية، وغير أولئك ممّن يروم الفتنة والإثارة، وممّن هو مستعدّ لرمي الشيعة بمختلف التهم، والافتراء على عقائدهم، تحقيقاً لمقتضيات السياسة الاستعمارية.

والذي يبعث على الأسىٰ أنّ ثمة من بين كتّاب الشيعة أيضاً، من انساق وراء ما كتبه الآخرون، فعدم اطّلاع هؤلاء دفعهم للجري وراء هذه الكتابات دون تمحيص وبحث كامل، والنقل عنها بذريعة أنّها تمثّل بحثاً تاريخياً...!

والمسألة لم تقتصر على قصة «ابن سبأ» وحدها، بل تجاوزتها إلى مواضيع أخرى ـ من قبيل دوافع تشيّع الإيرانيّين ـ حيث سقط هؤلاء في وهدة الأحكام المخالفة للواقع، من دون أن يتوفّروا على بحث تلك الآراء وتدقيقها، ومن دون أن يدركوا أنّهم يكرّرون برؤاهم ما قاله وكتبه أعداء الشيعة، ممّا صدر ببواعث مغرضة غير نزيهة.

في طليعة تلك التهم التي سيقت دون مروءة، هي زعم أنّ «التشيّع هو من بناة ابن سبأ اليهودي المعروف»!!، وقد بنوا على هذه التهمة عشرات التهم الأخرى.

أجل! منذ أكثر من عشرة قرون، وعدّة من المؤرّخين والمؤلّفين يبحثون عن «ابن سبأ» ويكتبون عن فرقة «السبئية»، وينسبون لهم ما شاءوا من العقائد والأفكار من دون دراسة الموضوع وكشف حقيقته.

يقول الدكتور علي الوردي في كتابه «وعاظ السلاطين»: «إنّهم لايتورّعون من أن ينسبوا إلى ابن سبأ ذنوب العالمين بأجمعهم، ويرمون بها على عاتقه، من دون أن يتكلّفوا عناء البحث في أصل وجوده، ويتوفّروا على بحث المسألة وتمحيصها».[١]

وإذا كان المؤرّخون والباحثون في السابق يمرّون في كتاباتهم على نحوٍ مختصرٍ وإجمالي على قصة «ابن سبأ» الخرافية المزعومة، فإنّ المسألة اكتسبت في القرن أو القرنين الأخيرين طابعاً آخر يختلف تماماً عن المسار التاريخي الموروث، إذ لم نعد نجد كتاباً يتناول تاريخ الإسلام والصحابة إلّا وهو يسوّد الصحائف حول هذه القصة الموهومة والأسطورة المزعومة!

وما سنقوم به الآن هو أن نستعرض سريعاً ـ وبالإجمال والاختصار ـ حقيقة «ابن سبأ» وجذوره التاريخية، وما كتبه المؤرّخون والباحثون عن «ابن سبأ» هذا طيلة قرون حتّى عصرنا الحاضر، وما نسب إليه من أفكار وعقائد، ثم نتوفّر على بيان تحليل موجز يتناول أصل هذه الأسطورة التاريخية، والشخصية المزعومة غير الواقعية على ما نعتقد، على أن يترك التحليل الموسّع للمسألة إلى فرصةٍ أخرى مناسبة وقادمة بإذن الله.

من هو عبدالله بن سبأ؟

قالوا عن ابن سبأ: إنّه رجل يهودي دخل في الإسلام يريد الكيد له، وقد ساءه

---

١. وعّاظ السلاطين: ١١٣.

انتشار الإسلام وتحقيقه للفتوحات المتتالية، فامتلأ غيظاً عليه، وبدأ يتحرّك ضدّه. والرجل هو: عبدالله بن وهب بن سبأ، ويعرف بابن السوداء، من يهود اليمن، ومن أهالي صنعاء أو الحيرة وحمير، باختلاف الأقوال[١].

لانعرف عن نسب ابن سبأ وسوابقه أكثر من هذا، إذ لم تذكر كتب الرجال والتاريخ تفاصيل أكثر!!

والذي يبدو أنّ أول من ذكر أنّ عبدالله بن سبأ كان يهودياً هو الشهرستاني في كتابه: «الملل والنحل»، في حين سكتت بقية المؤرّخين عن نسبه، أو أنّهم ذكروا: أنّه عربي المنحدر[٢].

قصّة إسلامه

قالوا: «فأمّا اليهود: قصدوا إطفاء نور (الإسلام) ببثّ البدع فيه، وتفريق كلمة أهله، بما فعل عبدالله بن سبأ من ابتداع التشيّع لعلي كرم الله وجهه، والغلو فيه، وإلقاء الشقاق بين المسلمين في مسألة الخلافة»[٣].

وقالوا: «إنّ الشعبي ذكر: أنّ عبدالله ابن السوداء كان يتعاون في العقيدة التي يظهرها مع السبئية، وهو يهودي من الحيرة، تظاهر بالإسلام لكي ينال من خلال ذلك موقعاً بين الكوفيّين، وتكون له بينهم منزلة. ولطالما كان يذكر أنّ التوراة تنصّ على أنّ لكلّ نبي وصياً، وأنّ علياً هو وصي محمد، وهو خير الأوصياء، كما أنّ محمداً ﷺ هو خير الأنبياء وأفضلهم».

وذكر بعض كتّاب السلفية: أنّ ابن السوداء كان من محبّي اليهودية، وقد بغي

---

١. انظر مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠ الهجري): ١١، مقدمة الجزء الأول ط ١، وإلى مشيخة الأزهر، عبدالله السبيتي: ١٢٢، ط ـ بغداد، ووعّاظ السلاطين، د. علي الوردي: ١١١، ط ـ بغداد.

٢. يراجع كتاب «نخستين امام» أي (الإمام الأول)، هدايت الله حكيم إلهي: ٤٢ ط ـ طهران، ١٣٢٩.

٣. تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا ١٠: ٣٨٦.

للإسلام، وطمع أن يفسده من خلال تأويلاته حول علي وأولاده حتّى يقول المسلمون في علي ما يقوله المسيحيون في عيسى.

وقالوا: «إنّ الرافضة! أمضى في الكفر من غيرهم من ذوي الأهواء، فقد أخذوا جانب ابن السوداء، وخلطوا أضاليلهم مع تأويلاته!»[١].

وقالوا: «وكان يتزعّم هؤلاء عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً للمسلمين، ودعا إلى الغلو في علي، لأجل تفريق هذه الأمة»[٢].

وقالوا أيضاً: «وإنّما قيل لهم رافضة، لأنّهم رفضوا أبابكر وعمر»؟! ثم أضافوا عن الرافضة: «أحذرك الأهواء المضلّة شرّها الرافضة، فإنّها يهود هذه الأُمة! يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية، ولم يدخلوا في الإسلام رغبةً ولا رهبةً من الله، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم، وقد حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، ونفاهم إلى البلدان: منهم عبدالله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبدالله بن سباب نفاه إلى الجازر»[٣].

وقد ابتدع بعضهم معنىً آخر للرافضي من عنده، ثم تحدّث عن تعاضد عبدالله بن سبأ ومجوس فارس!! لإفساد الإسلام، زاعماً أنّ ما حلّ به لم يكن إلّا من هذين!!

يقول: «و قد رفض غلاة الشيعة الإمام زيداً إذ أبىٰ قبول ما اشترطوا عليه لاتّباعه، وهو البراءة من أبي بكر وعمر، فلذلك سمّوا الرافضة. ولماذا اشترطوا البراءة من أبي بكر وعمر دون عثمان، بل دون معاوية ويزيد؟ إنّ أكثر الشيعة الصادقين من المتقدّمين والمتأخّرين، لم يكونوا يعرفون هذا، ولو فكّروا فيه لعرفوه وعرفوا بمعرفته كيف جرفهم تيار دسائس المجوس! أصحاب الجمعيات السرّية العاملة للانتقام للمجوسية من الإسلام، فتلك المجوسية بثّت دسائسها في الشيعة

---

١. الفرق بين الفرق، أبو منصور عبدالقاهر البغدادي (ت: ١٤٢٩هـ) طبعة تبريز، ١٣٣٣ ش (الترجمة الفارسية): ٢٤١ ب ٤.

٢. انظر مقدّمة الصواعق المحرقة (الطبعة الجديدة): ص ٦؛ ومحاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٢: ٩٧.

٣. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ـ ٣٢٨هـ) ١: ٣٥٠ و٣٥٣ ط ٢ ـ مصر.

لأجل التفريق بين المسلمين، وإزالة ذلك الاتحاد الذي بني على أساسه مجد الإسلام»!.

ثم يضيف: «لم توجد في الدنيا جمعيات أدقّ نظاماً وأنفذ سهاماً من جمعيات الباطنية التي أسّسها عبدالله بن سبأ اليهودي ومجوس فارس لإفساد الدين الإسلامي وإزالة ملك دعاته العرب، فقد راجت دسائسها في شيعة آل بيت الرسول»[١].

وسنشير حين نعرض لجهاد أبي ذرّ ضد بني أمية[٢]، إلى أنّ هذا الصحابي الجليل كان يسعىٰ من أجل إرساء أصول العدالة الاجتماعية بمعناها الصحيح، وأنّه كان صيحة مدوّية ضد إسراف بني أُمية وأُحابيلهم، وضد كنّاز الثروة والمال في عهدهم، بيد أنّ البعض ذهب للقول إلى أنّ ابن سبأ هو الذي حرّك أبا ذرّ في هذا الجهاد!

وفي «تاريخ الطبري» أنّ شعيباً حدّث عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: «لمّا ورد ابن السوداء الشام لقي أباذر، فقال: يا أباذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله، ألا إنّ كلّ شيء لله! كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين»[٣].

وينقل أحمد أمين في «فجر الإسلام» نصّ رواية الطبري، وسنرى أنّ أحداً غير الطبري لم ينقل هذه الواقعة، بل اختصّ وحده بخبرها، أو اختلاقها، أخذها جميع المؤرّخين منه.

ثم ينقل عن الطبري أيضاً: «أنّ ابن السوداء لقي أباذر، فأوعز اليه، وأُخذه عبادة إلى معاوية، وقال له: هذا والله الذي بعث عليك أباذر»!

ويعلّق أحمد أمين بعد ذلك: «و نحن نعلم أنّ ابن السوداء هذا لقب لقّب به

---

١. تفسير المنار، ٨: ٢٢٥. وعن المعنى الصحيح للرفض والرافضي يمكن العودة إلى رسالة «من هم الرافضة» ترجمة علي رضا خسرواني، ط ـ طهران.

٢. انظر كتاب «الشيعة والتشيّع» للعلّامة الطباطبائي، ط ـ قم، مركز البحوث الإسلامية، قسم (الايضاحات)، موضوع: (بني أمية)، إعداد وتقديم: سيد هادي خسرو شاهي.

٣. تاريخ الطبري ٣: ٣٣٥، حوادث سنة ٣٠هـ، وانظر: دائرة المعارف، فريد وجدي ٦: ١٦٠.

عبدالله بن سبأ، وكان يهودياً من صنعاء، أظهر الإسلام في عهد عثمان، وأنّه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم».

ثم يضيف قائلاً: «فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقّى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن، واعتنقها أبوذرّ، حسن النية في اعتقادها، وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح إليها نفسه، فقد كان من أتقى الناس وأورعهم وأزهدهم في الدنيا، وكان من الشخصيات المحبوبة التي أثّرت في الصوفية».[1]

ما قيل عن معتقدات ابن سبأ ونشاطاته

ذكر جمع من ذوي الأغراض من الكتّاب أو الدارسين غير المدقّقين قصصاً وأساطير حول «ابن سبأ» والفرقة السبئية ومعتقداتها، سنعرض لبعضها بإيجاز، ثم نذكر أسماء الكتب التي توفّرت على بيان الأقاصيص ذات الصلة بابن سبأ، كي يمكن للقارئ الذي ينشد المزيد أن يعود إليها:

يقولون: إنّ مبتدع أصول التشيّع هو عبدالله بن سبأ[2].

وذكروا: أنّ السبئية هي أقدم فرق الشيعة وأكثرها أصالة (!) في مسار تشكّل الشيعة وظهورهم في التاريخ الإسلامي[3].

وذكروا: أنّ عبدالله بن سبأ بثّ بين المسلمين ثلاثة أمور لم تكن معروفة بينهم

---

١. فجر الإسلام: ١١٠ ـ ١١١؛ وراجع تاريخ الاسلام، د. حسن إبراهيم حسن ١: ٢٧٠ فما بعد، وشهسوار اسلام (فارس الإسلام) غابريل انكيري: ١٨٤ ط ـ طهران. وسيرد جواب هذا الكلام من قبل الباحثين وكبار المحقّقين في أواخر هذا البحث.

٢. يلاحظ: فجر الإسلام، أحمد أمين: ٢٧٧، ط ـ العاشرة، القاهرة، وكذلك: السنّة والشيعة: ٤ ـ ٦، للسيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وهي الرسالة التي كتبها ردّاً على كتاب «الحصون المنيعة» للمرحوم آية الله السيد محسن الأمين العاملي، حيث توفّر على ردّ إثاراتها العلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني، في الجزء الثالث من موسوعته القيّمة: الغدير ط ـ بيروت: ٢٦٦، فما بعد.

٣. المهدوية في الإسلام، الشيخ سعد محمد حسن، طبعة القاهرة، ونقلاً عن كتاب (إلى مشيخة الأزهر) لعبدالله السبيتي: ١١٤ و١١٥ ط ـ بغداد.

من قبل، ولم يكن أحد يؤمن بها، والأمور الثلاثة هي:

١ ـ أنّه أول من قال: لكلّ نبيٍّ وصي (حسب نصّ الطبري)، وأنّ رسول الله ﷺ جعل علياً وصيّاً وإماماً.

٢ ـ أنّه أول من أظهر الاعتقاد بأنّ محمداً ﷺ يرجع، ثم نراه تحوّل ـ كما ينصّ أحمد أمين ـ إلى القول بأنّ علياً يرجع.

٣ ـ وهو الذي قال: إنّ علياً لم يمت ولم يُقتل، بل هو حيّ دائماً، مسكنه في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسّمه! وقد حلّ في علي جزء إلهي، واتّحد بجسده! فيه يظهر في زمن من الأزمان، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً![1]

ويقولون عن ابن سبأ أنّه: «تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع، ويكذّب بأنّ محمداً يرجع. ثم قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبي، لكلّ نبيٍّ وصي، وكان علي وصي محمد»[2].

وذكروا: أنّ عبدالله بن سبأ ألّه علياً عليه السلام، فأبعده إلى المدائن.

وممّا ذكروه أيضاً: أنّ ابن سبأ كان يقول في حقّ علي ما كان يقوله وهو يهودي لم يسلم بعد؛ في موسى ويوشع بن نون.

ويقولون: إنّ ابن سبأ كان يقول: إنّ عليّاً عليه السلام لم يمت ولم يُقتل، وإنّما قتل ابن ملجم شيطاناً تصوّر بصورة علي، وعلي عليه السلام في السحاب! والرعد صوته، والبرق ضوؤه أو تبسّمه. وهؤلاء (السبئية) يقولون عند سماع الرعد: عليك السلام يا

---

١. النصوص مقتبسة من المصادر التالية: مقالات الإسلاميّين: ١١ مقدّمة الجزء الأول وكذلك هامش ص ٥٠؛ المهدوية في الإسلام، سعد محمد حسن: ٧٦؛ دائرة المعارف، محمد فريد وجدي ٦: ط ـ مصر، ١٣٥٦هـ؛ بر تو اسلام (فجر الإسلام) أحمد أمين ١: ٣١٠، فما بعد ب ٧؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٧٨ (حوادث سنة ٣٥هـ).

٢. يلاحظ: محاضرات في تاريخ الإسلام، الشيخ محمد الخضري بك ٢: ٩٧ ـ ٩٨ ط ٢، وكذلك: تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن ٢: ١ ـ ٢، والنص في المتن عن الطبري ٣: ٣٧٨ حوادث سنة ٣٥.

أميرالمؤمنين![1]

وقالوا: ثم اتّسع الأمر أيضاً في خلافة علي، فظهرت في عهده فرقة السبئية الذين يسبّون أصحاب رسول الله إلّا قليلاً، وينسبونهم إلى الكفر والنفاق، ويتبرؤون منهم، ولذا سمُّوا أيضاً بـ«التبرئية» ولكن قد تبرّأ منهم الإمام علي‌عليه السلام.

وقد أعان ابن سبأ على بدعته آخرون من أهل ملّته، ومن زعماء النصارى والوثنيّين والصابئة (!). ثم أخذ الأمر يتزايد، فظهر من هؤلاء جماعة قالوا بألوهية سيدنا علي، وعلم بهم وقاتلهم، واتّسع الأمر بعد سيدنا علي، حتّى انقسمت فرقة الشيعة إلى أربع وعشرين فرقة. وعلى ما ذكره العضدي: فالزيدية والإمامية من المعتدلين لاالغالين[2].

وذكروا: أنّ عبدالله بن سبأ أو ابن السوداء، هو يهودي الأصل من اليمن، اعتنق الإسلام، وقد كان عميق الايمان، دائب الحركة، رأى بلدان آسيا الصغرىٰ وقسماً من بلدان إفريقيا وهي مغمورة بالنور (!) فشرع باستنهاض الناس. واكتسب نشاطه فيما بعد طابعاً سياسياً شديداً، قام أثناء إقامته في مصر بالطعن على أعمال الخليفة، وأخذ ينذر في خطبه الخليفة عثمان، محذّراً إياه الاستمرار في موقعه؛ إذ لا يليق لهذا الموقع سوى علي بن أبي طالب.

لعبت فصاحة (!) ابن سبأ دورها في جذب الناس وشدّهم إليه، فاجتمعوا حوله وأخذوا يقدّسون عقيدته. وحين اطمأنّ ابن سبأ إلى قوة موقعه، والمكانة التي أحرزها، أخذ يكشف النقاب عن وجهه، ويظهر للناس خلال خطاباته حقيقة عقيدته التي يمزج فيها بين أصول العقيدة اليهودية وأفكارها وبين أصول الإسلام وأحكامه، وأخذ يروّج لفكرة «التناسخ».

---

١. الأنوار النعمانية، السيد نعمة الله الجزائري (المحدّث المعروف) ٢: ٢٣٤ ط تبريز ـ إيران. الأنساب، لاسمعاني ٢: ٢٠٩، ط ١ دارالجنان، ١٤٠٨هـ.

٢. مقدّمة الطبعة الجديدة من كتاب: الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، لابن حجر الهيتمي، مقدمة عبدالوهاب عبداللطيف، ص ٦، طبعة مصر عام ١٣٧٥هـ.

ثم بدأ بإشاعة عقائد المسيحية، إذ كان يخطب من مسجد الفسطاط الكبير، ويظهر عجبه ممّن يصدّق أنّ عيسى المسيح يرجع في آخر الزمان، ويبسط نفوذه على الناس أجمعين، فيكذّب ذلك، ويذكر أنّ المسيح لن يرجع، وإنّما الذي سوف يرجع هو محمّد ﷺ.

لقد تجاوز «ابن سبأ» الحدود والضوابط، وأعلن أنّ محمداً هو من جوهر الألوهية... والذي أعان ابن سبأ على التفرّد بالميدان سريعاً، وعزل الآخرين، هي ثقافته الواسعة في المسائل الدينية لليهودية والإسلام والنصرانية، ومعرفته بالأديان الإيرانية والهندية، وحتّى المصرية. لقد أمسى «ابن سبأ» في مدّة قصيرة من أوسع الناس نفوذاً في مصر (!) حتّى أخذ عامل الخليفة يخشاه ويرتعد منه.

وقد تشعّبت السبئية إلى فرق عديدة؛ ذهب بعضها للاعتقاد أنّ علياً يركب السحاب، وأنّه سيعود إلى الأرض ثانيةً. كما يعتقد بعضها الآخر: أنّ علياً ينزل الصواعق والبرق والرعد على رؤوس الأشرار!

وادّعى بعضهم أنّ علياً هو الشمس، وبعضهم يرى أنّ صورة القمر متمثّلة في صورة علي[1].

وذكروا: أنّ الثورة على عثمان جاءت بتحريك من ابن سبأ، وهو الذي كان يقول للناس مؤلّباً إنّ عثمان أخذها بغير حقّ... فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا بالطعن على أُمرائكم».[2]

وقالوا: إنّ عبدالله بن سبأ منع وقوع الصلح بين علي وعائشة ممّا قاد إلى وقوع

---

١. كتاب شهسوار اسلام (بالفارسية) (أي: فارس الإسلام) تأليف المسيو غابريل انكري الفرنسي، ترجمة كاظم عمادي، أنجمن تبليغات اسلامي ـ طهران، عام ١٣٢٦هـ: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٨٥، والنصّ مترجم عن كتاب نشرته لجنة تحقيق التاريخ العربي في القاهرة.

٢. يراجع: عثمان بن عفان، صابر عبده إبراهيم: ٥٦ فما بعد، ط ٢ ـ بغداد، كذلك: الزبير بن العوام، للمؤلّف نفسه، ط ١: ٥٨-٦١؛ الكامل لابن الأثير ٣: ٧٧، ١٣٥٦هـ، ودائرة المعارف، فريد وجدي ٦: ١٦٣.

حرب الجمل![1]

وثمة غير هذا الذي نسب إليه، إشارات غيرها ذكرها كتّاب آخرون، وضمّوا إليها قصصاً وأفكاراً وعقائد أخرى عزفنا عن ذكرها رعايةً للاختصار، بيد أنّ ذلك لايمنعنا من الإشارة إلى أسمائها كي يمكن لمن يروم التفصيل أن يعود إليها:

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧: ١٦٧.

(٢) روضة الصفا، تأليف مير خواند: ٧٢١، الطبعة الجديدة، قم ـ إيران ١٣٧٩هـ.

(٣) دائرة معارف البستاني ١١: ٥٠٦، ط ـ لبنان.

(٤) التاريخ العربي، تأليف البروفيسور نيكلس: ٢١٥.

(٥) عقيدة الشيعة، تأليف دوايت. م. دونلدسن: ٨٥.

(٦) الفصل بين الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري الأندلسي، ط ـ الأولى ٢: ٣٣ و٤: ١٣٨.

(٧) شبهاي بيشاور (ليالي بيشاور) لسلطان الواعظين الشيرازي: ١٧١ فما بعده.

(٨) والقسم الأخير من كتاب «الإسلام بين السنة والشيعة» لهاشم دفتردار المدني ومحمد علي الزعبي.

(٩) لسان الميزان، لشهاب الدين بن أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٧٥٢ هـ): ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ط ـ الثالثة، الهند، حيدرآباد دكن، ١٣٣٠هـ.

(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٨٥ و٤٨٦.

(١١) فرق الشيعة المنسوب إلى محمد الحسن بن موسى النوبختي: ٢٢ ـ ٢٣ ط ـ النجف.

(١٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ الطبعة العربية الأولى (١٣٦٨هـ).

(١٣) تاريخ الشيعة، د. حسين علي محفوظ: ٣٩ ط ـ العراق ١٣٧٧هـ.

---

١. عمار بن ياسر، صابر عبده ابراهيم: ٥٨. كذلك: الزبير بن العوام: ٥٠ ـ ٥١، ويلاحظ أيضاً: نقش وعّاظ در اسلام (ترجمة كتاب علي الوردي: وعّاظ السلاطين): ١١١ نقلاً عن الآخرين ط ـ طهران.

(١٤) التبصير للاسفراييني: ٧١ ـ ٧٢.

(١٥) اعتقادات فرق المسلمين للرازي: ٥٧.

(١٦) التنبيه لأبي الحسن الملطي: ٢٥ و١٤٨.

(١٧) التعريفات للجرجاني: ٧٩.

(١٨) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي ٢: ٦٠.

(١٩) تاريخ شيعة يا علل سقوط بني امية، بالفارسية (أي: تاريخ الشيعة أو أسباب سقوط بني أُمية) لفان فلوتن المستشرق الألماني، ترجمة السيد مرتضى الهاشمي الحائري: ٩٦ فما بعده، ط ـ طهران ١٣٢٥هـ.

(٢٠) تأثير جانشيني در بناي اسلام، بالفارسية (أي: تأثير الخلافة في بناء الإسلام) لعلي اصغر معزّزي: ١٦٠ ط ـ طهران ١٣٣٧هـ.

(٢١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، للاستاذ جورج جرداق ٤: ٨٩٤ فما بعده، فصل (علي وعصره) ط ـ لبنان.

(٢٢) الترجمة الفارسية لكتاب «الفَرق بين الفِرَق» التي صدرت بعنوان «تاريخ مذاهب إسلام» المترجم د. محمد جواد مشكور أستاذ جامعة تبريز: ١٧، ٤١، ٣٢، ٢٤٠ فما بعد، ١٣٣٣هـ.

الجذور التاريخية لأُسطورة ابن سبأ

وجهات نظر الباحث السيد مرتضى العسكري

من الباحثين المدقّقين الذين استقصوا هذه المسألة، وأثبتوا أنّ قصتها لا تعدو أن تكون ضرباً من ضروب الوهم، لا أساس لها من الصحة، هو العلّامة المعاصر السيد مرتضى العسكري.

لقد اضطلع السيد العسكري بتحقيق شامل قام على أساس بحثٍ مستوفٍ لقصة «ابن سبأ»، وقد جاءت نتائج البحث في كتاب ضخم وقيّم من مجلّدين، صدر بعنوان: «عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى»[1].

لقد أثبت هذا الباحث الكبير بدلائل تاريخية ثابتة أنّ منشأ هذه الأُسطورة الوهمية هو تاريخ الطبري، فقد أوردها الطبري بطريقٍ منحصرٍ عن سيف بن عمرالتميمي الكوفي في أحداث سنين ٣٠ ـ ٣٦هـ.

الطبري وسنده

وجدنا كل الكتّاب يرجعون إلى الطبري فيما ينقلون عن «عبدالله بن سبأ» والسبئية، فما هو مصدر الطبري فيما أورده من هذه القصة في تاريخه؟

---

١. صدرت الطبعة الأولى من المجلّد الأول سنة ١٣٧٥هـ في النجف الأشرف في العراق، ثم جدّد طبعه في القاهرة، وقد صدر المجلّد الثاني في طهران، ثم في بيروت.

قد أورد الإمام أبو جعفر محمد بن يزيد بن خالد بن جرير الطبري الآملي المتوفّى سنة ٣١٠هـ قصة السبئية في كتابه «تاريخ الأمم والملوك» منحصراً عن طريق سيف بن عمر التميمي، فقد قال في ذكره حوادث سنة ٣٠هـ: «و في هذه السنة ـ أعني سنة ٣٠ ـ كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية، وإشخاص معاوية إيّاه منها إليها، أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها. فأمّا العاذرون معاوية في ذلك، فإنّهم ذكروا في ذلك قصة [١] كتب بها إليّ السري يذكر أنّ شعيباً حدّثه سيف بن عمر، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: لمّا ورد ابن السوداء الشام لقي أباذرّ، فقال: يا أباذر ألا تعجب لمعاوية...» الحديث.

ثم يورد قصة «ابن سبأ» مع أبي‌ذرّ عن طريق «سيف» وحده، ثم يختم ترجمة أبي ذر بقوله: «أمّا الآخرون، فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأموراً شنيعة كرهت ذكرها».

ويورد في ذكره حوادث سنة ٣٠ ـ ٣٦هـ قصة «ابن سبأ» والسبئية في مقتل عثمان وحرب الجمل عن طريق «سيف» وحده أيضاً، وليس له طريق آخر لها. والجدير ذكره أنّ للطبري إلى أحاديث «سيف» هذا طريقان...

(أ) عبيدالله بن سعيد الزهري، عن عمه يعقوب بن إبراهيم، عن سيف. وما يخرجه الطبري من أحاديث «سيف» بهذا الطريق، حديث مشافهة.

(ب) السري بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف. ويخرج الطبري بهذا الطريق أحاديث «سيف» عن كتابه «الفتوح والردّة» وكتابه «الجمل ومسير عائشة» بلفظ: «كتب إليّ»، وقد يخرج بهذا الإسناد عن «سيف» أحاديث مشافهة أيضاً.

فيعتبر سيف بن عمر ـ كما مرّ عن تاريخ الطبري ـ هو الراوية الوحيد لقصة ابن سبأ، فكان من المناسب أن نتعرّض سريعاً إلى شخصية «سيف» هذا، وقيمة أحاديثه على ضوء ما ذكره علماء الرجال والتراجم.

---

١. تابعنا الطبري ـ غالباً ـ في تسمية رواية «سيف» عن (السبئية) بالقصّة.

من هو سيف؟

هو سيف بن عمر التميمي الكوفي، مؤلّف كتاب (الفتوح الكبير والردّة) و(الجمل ومسير عائشة وعلي) توفّي سنة ١٧٠هـ، في خلافة هارون الرشيد.

نعلم بداهةً أن معرّف شخصية أي راوٍ تتم من خلال الرجوع إلى كتب الرجال، وحينما تتّضح شخصيته، تتبيّن بقدرٍ وافٍ قيمة أحاديثه ومايرويه.

يذكر علماء الرجال كما ينقل ذلك ابن النديم في (الفهرست ١٣٧)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ١: ٤٣٨، الرقم ٣٥٨١)، و(تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٧): أنّ سيفاً هذا ضعيف الحديث، متروك لايعبأ به، يروي عن المجاهيل، لا وزن له في نقل الرواية، ولا قيمة لعامة رواياته، يروي المناكير، اتُّهم بالوضع والزندقة[١].

وممّا جاء في كتابي «الإصابة» و«الاستيعاب»: أنّ سيفاً ضعيف متروك الحديث، ليس بشيء[٢].

والذي فعله جلال الدين السيوطي في كتابه (اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة تحت الرقم: ٢٣٣) أنّه نقل عنه حديثاً واحداً فقط، ثم قال: «هذا حديث موضوع، فيه ضعفاء، أشدّهم سيف»[٣].

والذي نخلص إليه: أنّ سيفاً متّهم بنظر أهم علماء الرجال من أهل السنّة بالزندقة ووضع الحديث. ولذلك لم تنقل رواياته في أيّ كتابٍ معتبرٍ، بل شاء الطبري وحده أن يأخذ عنه في تاريخه، وقد وضع قصة ابن سبأ التي أثبتها الطبري وتحوّلت إلى مصدر لمن بعده من المؤرّخين غير المدقّقين.

---

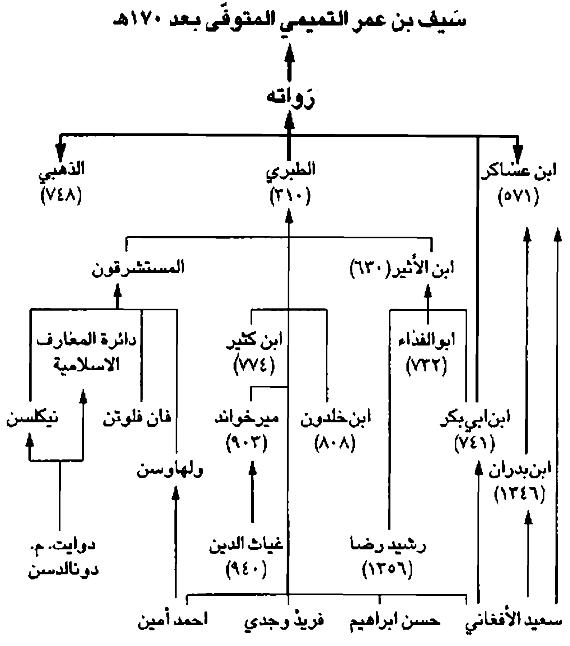
١. لاحظ عبدالله بن سبأ ١: ١٧؛ الغدير ٨: ٨٤ ـ ٨٥.

٢. الإصابة ٣: ٢٣٠، والاستيعاب ٣: ٢٥٢.

٣. انظر عبدالله بن سبأ ١: ١٨، ١٤٠ و١٤١؛ الغدير ٨: ٨٤ ـ ٨٥.

وفيما يلي مخطّط يوضّح سلسلة رواة الأُسطورة السبئية التي اختُلقت عن سيف التميمي:

سلسلة رواة الأُسطورة السبئيّة
ومختَلقَها



التاريخ المدوّن في هذا الجدول هجري

الفصل الثاني:

عبدالله بن سبأ في الفكر السنّي

اتّضح بشكل جليّ من خلال المسار التاريخي لقصة عبدالله بن سبأ: أنّ تاريخ الطبري هو المصدر الوحيد لها، والتي أثبتها عن طريق سيف بن عمر، فيعتبر المعين الوحيد الذي يصدر عنه الباحثون والمؤرّخون.

ولقد رأينا بوضوح أنّ الطبري إنّما أشار إلى قصة «ابن سبأ» إشارةً إجمالية. بيد أنّ الذي حصل هو أنّه أضاف الكتّاب الذين تأخّروا عن الطبري إضافات من عندهم. فرغم أنّهم يأخذون عن الطبري، ويعتمدون عليه في أصل النقل ـ القصة ـ إلّا أنّهم أضافوا زوائد من عندهم، وشرحوا وتوسّعوا بأشياء لم يسندوها إلى أيّ مصدرٍ تاريخيٍّ معتبر.

والذي حصل هو أن أخذت تتزايد هذه الإضافات بمرور الأيام، وإذا شئنا أن نتحدّث بلغةٍ أوضح، فنستطيع القول: إنّ الكتّاب والمؤلّفين استخدموا لغة التهمة والافتراء، بحيث أخذت هذه تزداد تدريجياً وعلى مرّ العصور، حتّى إذا ما آل الأمر إلى عصرنا الراهن، رأينا بعض الكتّاب ينسبون جميع عقائد الشيعة وأفكارها إلى عبدالله بن سبأ، حين يرومون مهاجمة الشيعة والتشيّع، من دون أن يكون لهم سند أو دليل حتّى على وجود عبدالله بن سبأ نفسه.

كما أشرنا إليه عند استعراضنا لما قام به من نشاطات مزعومة في مناطق واسعة من الدولة الإسلامية، والتي صوّرته لاعباً أساسياً في كثير من الأحداث في تاريخ هذه الأمة.

إنّ المقارنة بين مصدر القصة كما جاءت في تاريخ الطبري، وبين الشكل الذي اكتسبته في المصادر الأخرى بعد الطبري، تؤكّد للمنصف بما لايدع له مجالاً للشكّ أنّ نسبة عقائد الشيعة إلى ابن سبأ لاتعدو أن تكون تهمة وافتراء محضين، روّج لهما أرباب التعصّب لتغذية سياسة التفرقة.

لكن الإنصاف يحتمّ علينا أن نقول: إنّ كثيراً من الباحثين والمؤرّخين من إخواننا من أهل السنّة لم تنطل عليهم ألاعيب المغرضين والشانئين، ولم يقعوا في أمر التقليد الأعمىٰ لما هو موروث وسائد، فكانت الموضوعية هدفهم، والحقيقة ضالّتهم، فقادهم البحث العلمي والموضوعي المجرد عن كلّ أفكار مسبقة إلى نتائج صحيحة، أثبتوا من خلالها سقم تلك الرؤىٰ والأفكار التي أحاطت بهذه الشخصية، والتي أراد لها أصحابها ومخترعوها أن تزرع بذور الشقاق والتفرقة في الأمة الإسلامية.

وسنتعرّض إلى آراء عدد من العلماء والباحثين من أعلام أهل السنّة ممّن لم يقعوا تحت تأثير دعاية عبدالله بن سبأ هذا، وفي طليعتهم الأستاذ الدكتور طه حسين، والأستاذ حامد حفني وغيرهما. ونبدأ برأي الأستاذ الدكتور طه حسين:

رأي الدكتور طه حسين

يعتبر الباحث والأديب الأستاذ طه حسين أول من شكّك بشخصية عبدالله بن سبأ، وما أُعطي لها من دور زائف في التاريخ، وذلك انطلاقاً من ثوابت ومسلّمات عقلية وتاريخية لايمكن التشكيك بها.

لقد ابتدأ الدكتور في الجزء الأول من كتابه «الفتنة الكبرىٰ» بإثارة غبار الشكّ حول شخصية ابن سبأ، ثمّ عاد في الجزء الثاني لينكر وجوده أصلاً.

يقول: «ويذهب البعض إلى أنّه أحكم كيده إحكاماً، فنظّم في الأمصار جماعات

خفيّة تتستّر بالكيد، وتتداعىٰ فيما بينها إلى الفتنة، حتى إذا تهيّأت لها الأمور وثبت على الخليفة، ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام، ويخيل إليّ أن الذين يكبّرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحدّ يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً.

وأول ما نلاحظه أنّا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصّت أمر الخلاف على عثمان، فلم يذكره ابن سعد حين قصّ ما كان من خلافة عثمان وانتفاض الناس عليه، ولم يذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلاً. وذكره الطبري عن سيف بن عمر، وعنه أخذ المؤرّخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر.

ولست أدري أكان لابن سبأ خطر في أيام عثمان أم لم يكن؟! ولكنّي أقطع بأن خطره ـ إن كان له خطر ـ ليس ذا شأن، وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد في جميع الأقطار، ولو قد أخذ عبدالله بن عامر أو معاوية هذا الطارئ الذي كان يهودياً فلم يسلم إلّا كائداً للمسلمين، لكتب أحدهما أو كلاهما فيه إلى عثمان، ولبطش به أحدهما أو كلاهما».

ثم يضيف قائلا: «والذي يكتب إلى عثمان يستأذنه في البطش بابن أبيبكر وابن أبي حذيفة وعمار بن ياسر في بعض الروايات، خليق ألّا يعفي من عقوبته رجلاً من أهل الكتاب قد اتّخذ الإسلام لإثارة الفرقة بين المسلمين، وتشكيكهم في إمامهم، بل في دينهم كلّه.

ولم يكن أيسر من أن يتّبع الولاة هذا الطارئ وأن يأخذوه ويعاقبوه، وهم كانوا مهرة في تتبّع المعارضين، وإخراجهم من ديارهم، وإرسالهم إلى معاوية أو إلى عبدالرحمان بن خالد بن الوليد.

ومن أغرب ما يروى من أمر عبدالله بن سبأ هذا: أنّه هو الذي لقّن أبا ذر نقد

معاوية فيما كان يقول من أنّ المال هو مال الله، وعلّمه أنّ الصواب أن يقول: إنّه مال المسلمين![١] ومن هذا التلقين، إلى أن يقال: إنّه هو الذي لقّن أباذرّ مذهبه كلّه في نقد الأُمراء والأغنياء، وتبشير الكانزين للذهب والفضة بمكاوٍ من نار تكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

وما أعرف إسرافاً يشبه هذا الإسراف. فما كان أبو ذرّ في حاجةٍ إلى طارئ محدث في الإسلام ليعلّمه أنّ للفقراء على الأغنياء حقوقاً، وأنّ الله يبشّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم. لم يكن أبو ذرّ بحاجةٍ إلى هذا الطارئ ليعلّمه هذه الحقائق الأولية من حقائق الإسلام، وأبو ذرّ سبق الأنصار جميعاً، وسبق كثيراً جداً من المهاجرين والأنصار إلى الإسلام، وهو قد صحب النبي فأطال صحبته، وحفظ القرآن فأحسن حفظه، وروى السنّة فأتقن روايتها.

فالذين يزعمون أنّ ابن سبأ قد اتّصل بأبي ذرّ، فألقي إليه بعض مقاله، يظلمون أنفسهم ويظلمون أبا ذرّ.

والرواة يقولون: إنّ أبا ذرّ قال ذات يوم لعثمان بعد رجوعه من الشام إلى المدينة: لاينبغي لمن أدّى الزكاة أن يكتفي بذلك حتّى يعطي السائل، ويطعم الجائع، وينفق من ماله في سبيل الله. وكان كعب الأحبار حاضر هذا الحديث، فقال: من أدّى الفريضة فحسبه! فغضب أبو ذرّ، وقال لكعب: يا بن اليهودي! ما أنت وهذا؟ أتعلّمنا ديننا؟! ثم وجأه بمحجنه.

فأبو ذرّ ينكر على كعب الأحبار أن يعلّمه دينه، بل أن يتدخل في أمور المسلمين حتّى بإبداء الرأي، مع أنّ كعب الأحبار مسلم، أبعد عهداً بالإسلام من ابن سبأ، وكان مجاوراً في المدينة، يصبح ويمسي بين أصحاب النبي، وكان معاشراً لعمر وعثمان، ثم لا يتحرّج من أن يتلقّى من عبدالله بن سبأ أصلاً من أصول

---

١. انظر تاريخ الطبري ٣: ٣٧٨، ط ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٤١٨هـ.

الإسلام، وحكماً من أحكام القرآن! فأعجب لرجلٍ من أصحاب النبي، ينكر على كعب أن يجادل في الدين، ثم يتلقّى الدين نفسه عن عبدالله بن سبأ!!».

إلى أن يقول: «و أكبر الظنّ كذلك أنّ خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا، ليشكّكوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان ولاته من ناحية، وليشنّعوا على علي وشيعته من ناحية أخرى، فيردّوا بعض أمور الشيعة إلى يهوديٍّ أسلم كيداً للمسلمين. وما أكثر ما شنّع خصوم الشيعة على الشيعة!!

فلنقف من هذا كلّه موقف التحفّظ والتحرّج والاحتياط، ولنكبّر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً، وكانت أمه سوداء، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً، ولكن مكراً وكيداً وخداعاً، ثم أتيح له النجاح ما كان ينبغي، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتّى قتلوه، وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً.

هذه كلّها أُمور لاتستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ»[١].

❊ ❊ ❊

ثم عاد الدكتور طه حسين إلى موضوع ابن سبأ و(السبئية) في الجزء الثاني من كتابه، فكان ممّا كتبه:

«والغريب أنّ المؤرّخين الذين أكثروا من ذكر ابن السوداء عبدالله بن سبأ وأصحابه حين رووا أمرالفتنة أيام عثمان، وأكثروا من ذكرهم بعد مقتل عثمان قبل أن يشخص علي من المدينة للقاء طلحة والزبير وأمّ المؤمنين، ثم أكثروا من ذكرهم حين كان علي يسفر إلى طلحة والزبير وأمّ المؤمنين في الصلح، ثم زعموا أنّهم ائتمروا على حين غفلة من علي وأصحابه بإنشاب القتال الغريب أنّ هؤلاء المؤرّخين

---

١. الفتنة الكبرى ١: ١٣١ ـ ١٣٧ ط ٨ ـ دارالمعارف، مصر.

قد نسوا السبئية نسياناً تاماً، أو أهملوها إهمالاً كاملاً حين رووا حرب صفّين!».

ثم يضيف: «و أقلّ ما يدلّ عليه إعراض المؤرّخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفّين أنّ أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء كان متكلّفاً منحولاً، قد اخترع بآخره حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أُصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم.

ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحقّ والتاريخ الصحيح، لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقّدة المضلّة التي كانت بصفّين... فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال، أو كيف يمكن أن نعلل غياب ابن سبأ عن وقعة صفّين؟ أما أنا فلا أعلل الأمرين إلّا بعلّةٍ واحدةٍ، وهي أنّ ابن السوداء لم يكن إلّا وهماً».

ثم يضيف: «و إنّما هو شخص أدخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم».

* * *

وفي جانب آخر من مناقشته يكتب: «أمّا البلاذري فقد رأينا فيما سبق من هذا الكتاب أنّه لم يذكر ابن السوداء ولا أصحابه السبئية في أمر عثمان، وهو كذلك لم يذكره في أمر علي إلّا مرة واحدة في غير ذي خطر، إذ جاء علياً مع آخرين يسألونه عن أبي بكر فردّهم ردّاً عنيفاً، لائماً لهم علىٰ تفرّغهم لمثل هذا، على حين كانت مصر قد فتحت وقتلت فيها شيعة علي.

وكتب علي كتاباً يذكر فيه ما صارت إليه الأمور بعد تخاذل أهل العراق، وأمر أن يقرأ هذا الكتاب على الناس لينتفعوا به.

قال البلاذري: وكانت عند ابن سبأ منه نسخة حرّقها[1]. وابن سبأ عند البلاذري

---

١. راجع أنساب الأشراف: ٣٨٣، ط ١ ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت.

ليس ابن السوداء، وإنما هو عبدالله بن وهب الهمداني.

والبلاذري يروي هذا الخبر كلّه متحفّظاً متوخّياً للصدق ما استطاع، وهو كثيراً ما يروي بعض الأحاديث ثم يعقّب عليها بما يظهر الشكّ فيها، لأنّها من اختراع أهل العراق».

وبعد أن يتحدّث بلمحات عن وضع الحديث والأخبار، يعود طه حسين ليقول: «و مهما يكن من شيء، فالبلاذري لا يذكر ابن السوداء وأصحابه في شيءٍ من الفتنة أيام عثمان وأيام علي، والطبري ورواته الذين أخذ عنهم، والمؤرّخون الذين أخذوا عنه فيما بعد، يذكرون ابن السوداء وأصحابه في أمر الفتنة أيام عثمان، وفي العام الأول من أيام علي. ثم ينسونهم بعد ذلك.

والمحدّثون وأصحاب الجدل متّفقون مع الطبري وأصحابه فيما ذهبوا إليه، إلّا أنّ المحدّثين وأصحاب الجدل ينفردون من دون الطبري وأصحابه بشيء آخر، فيزعمون أنّ ابن السوداء وأتباعه ألّهوا علياً، وأنّ علياً حرّقهم بالنار! ولكنّك تبحث عن هذا في كتب التاريخ فلا تجد له ذكراً، فلسنا نعرف في أيّ عامٍ من أعوام الخلافة القصيرة التي وليها علي كانت فتنة هؤلاء الغلاة؟! وليس تحريق جماعة من الناس بالنار، في الصدر الأول للإسلام، وبين جماعة من أصحاب النبي، ومن صلحاء المسلمين، بالشيء الذي يغفل عنه المؤرّخون فلا يذكرونه ولا يوقّتونه، وإنّما يهملونه إهمالاً كاملاً»[1].

رأي الأستاذ حامد داود الحفني

ويجدر بنا أن ننقل سطوراً ممّا كتبه الأستاذ حامد حفني داود المصري حول هذه الشخصية الموهومة الخرافية[2].

---

١. علي وبنوه، د. طه حسين: ٤٣، ٩٠ و١٥٢، ـ ط ٧ ـ مصر، القاهرة.

٢. عن مقدّمة كتاب (عبدالله بن سبأ) للعلّامة السيد مرتضى العسكري.

يقول الأستاذ حفني: «مضى ثلاثة عشر قرناً من حياة التاريخ الإسلامي كان (أنصاف العلماء) خلالها يصدرون أحكامهم على الشيعة، مشبوبة بعواطفهم وأهوائهم، وكان هذا المنهج السقيم سبباً في إحداث هذه الفجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية، ومن ثم خسر العالم الشيء الكثير من معارف أعلام هذه الفرق، كما خسر الكثير من فرائد آرائهم وثمار قرائحهم.

وكانت خسارة العلم أعظم فيما يمسّ الشيعة والتشيّع، بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحل وترهات وخرافات، هم في الحقيقة براء منها، ولو أنّ هؤلاء (الأنصاف) ترفّعوا بأنفسهم عن التعصّب، وطبّقوا ـ وهم يكتبون عنهم، أو يأخذون منهم ـ مناهج البحث العلمي الصحيح، وآثروا حكم العقل على حكم القلب، وقدّموا الرأي على الهوى، لجاءنا علم كثير عن الشيعة، ولانتفعنا بالكثير من تراث هذا المذهب.

إنّ الباحث المنصف للحقائق العلمية، يأخذ عن مذهب الشيعة بقدر ما يأخذ عن غيرها من المذاهب الإسلامية الأخرى، وهو مضطرّ ـ إن كان منصفاً ـ إلى دراسة فقه الشيعة حين يدرس المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنّة، ناهيك أنّ الإمام جعفر الصادق المتوفّى سنة ١٤٨هـ ـ وهو رافع لواء الفقه الشيعي ـ كان أستاذاً للإمامين السنّيين: أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفّى سنة ١٥٠هـ، وأبي عبدالله مالك بن أنس المتوفّى سنة ١٧٩هـ.

و في ذلك يقول أبو حنيفة مقرّاً بالأستاذية وفضل السبق: (لولا السنتان لهلك النعمان) يقصد السنتين اللتين اغترف فيهما من علم جعفر بن محمد.

ويقول مالك بن أنس: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد).

لقد كانت الطامّة أعظم حين خرج على الناس بعض المحدّثين الذين ينتحلون لأنفسهم سمة العلوم، ويأتزرون بإزار المعرفة، وليتهم تواضعوا، وتنزّهوا عن رفع أنفسهم فوق قدرها لمّا أعلنوا الثورة على الفرق الإسلامية وأفردوا الشيعة بأعظم

جانبٍ منها، فأفسدوا فيما كتبوا مناهج البحث العلمي، وأوصدوا دونهم أبواب العلم.

وكان ـ للأسف الشديد ـ أستاذنا أحمد أمين واحداً من هؤلاء النفر الذين حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة في ركنٍ عظيمٍ من أركان الحضارة الإسلامية، ذلك الركن الذي سبق فيه الشيعة غيرهم من بناة الحضارة الإسلامية، والتراث الإسلامي كما سجّلها على غيره ممّن حذا حذوه من أساتذة الجامعات الذين آثروا التعصّب الأعمى على حرّية الرأي، وجمّدوا بآرائهم عند مذهب بعينه.

وليس ذلك بالطريق السوي الذي يسلكه المحقّقون من الباحثين.

ولعلّ أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين، وغمّ عليهم أمرهم، فلم يفقهوها ويفطنوا إليها، هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة، حين لفّقوا عليهم قصة عبدالله بن سبأ فيما لفّقوه من قصص أشرت إلى بعضها في مؤلّفاتي، وزعموا أن كلّ خرافة أو أسطورة أو أُكذوبة جاءت من فجر التاريخ الإسلامي، كانت من نسجٍ لخيال علماء الشيعة، واعتبروها مغمزاً يغمزون به عليهم.

وها هو البحّاثة الجليل مرتضى العسكري يسجّل لنا في كتابه «عبدالله بن سبأ» أنّ هذه الشخصية لم تخرج عن كونها شخصية خرافية، وأنّ ما أورده المؤرّخون عنه من حكايات في ترويج التشيّع، لم يكن أكثر من أُكذوبة سجّلها الرواة حول هذه الشخصية الوهمية، ليحملوا على الشيعة ما شاء لهم أن يحملوا، وليغمزوا ما شاء لهم أن يغمزوا.

لقد جمع هذا البحّاثة المقارن تحقيقاته العلمية، وأبحاثه الشيّقة من متفرّقات الكتب، ومنشورات الآثار، وبطون المصادر، وصال وجال في كلّ ميدان من ميادين التاريخ الإسلامي، حتى وصل إلى هذه الحقيقة الناصعة الجلية، وقد حاول الأستاذ المحقّق في كلّ مبحثٍ من مباحثه التي جاء بها في هذا الكتاب أن يقيم الحجّة الدامغة على أعداء الشيعة وخصومهم حين استشهدوا على آرائه العلمية بنصوص ثابتة من أقوال الخصوم أنفسهم، فأقام الحجّة عليهم من أقرب طريق.

والمطّلع على هذا الكتاب يستطيع أن يقف في سهولةٍ ويسرٍ على التحقيقات العلمية التي أجراها المؤلّف في أحاديث «سيف بن عمر» التي كانت تشغل أدمغة المؤرّخين منذ أن ظهر التاريخ الإسلامي المدوّن إلى وقت قريب منّا. قيض الله للتاريخ فيه جهابذة محقّقين لايخشون في الله وفي الحقّ لومة لائم.

كان الأستاذ المؤلّف في الطليعة منهم حين استطاع أن يحمل الباحثين على إعادة النظر فيما جاء به أبو جعفر الطبري في كتابه «تاريخ الأمم والملوك»، وأن يحملهم أيضاً على النقد التاريخي لكلّ ما جاء في هذا الكتاب وغيره من أُمّهات كتب التاريخ، بعد أن كان هؤلاء ينظرون إلى الأحداث التاريخية نظرتهم إلى المقدّسات التي لا تقبل التغيير أوالتبديل.

وقد استطاع المؤلّف بفضل القرائن التاريخية أن يكشف اللثام عن كثيرٍ من الأحداث التاريخية، وأن يوضّح للباحثين الحقائق من أقرب طريق وإن كان المؤلّف قد جاء ببعض هذه الحقائق في صورةٍ مذهلةٍ مدهشة؛ لمخالفتها ما اعتاده الناس، وتوارثوه في معتقداتهم، ولكن الحقّ أحقّ أن يتّبع.

ولكي تقف بنفسك على صدق هذا القول، ما عليك إلّا أن تقرأ هذه الأحداث التاريخية التي أوردها المؤلّف في كتابه، واختلفت فيها الروايات[1].

رأي الدكتور عبدالعزيز الهلالي

قال في كتابه «عبدالله بن سبأ»: «الذي نخلص إليه في بحثنا هذا: أنّ ابن سبأ شخصية وهمية، لم يكن لها وجود، فإن وجد شخص بهذا الاسم فمن المؤكّد أنّه لم يقم بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق، لا من الناحية السياسية، ولا من ناحية العقيدة»[2].

---

١. نظرات في الكتب الخالدة: ١٠١ ـ ١٠٥ ط ـ النجاح بالقاهرة ١٩٨٣.

٢. عبدالله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة: ٧١.

رأي الأستاذ أحمد عباس صالح

قال: وهنا يتردّد اسم عبدالله بن سبأ. وهو شخص كان يهودياً وأسلم، تصوّره كتب التاريخ على أنّه كان الشيطان وراء الفتنة التي قُتل فيها عثمان، بل وراء الأحداث جميعاً... وقد وقف منه الكتّاب مواقف متعارضة، فمنهم من ينكر وجوده أصلاً، ومنهم من يعتبره أساس كلّ ما جرى، بل أساس ما دخل في الإسلام من مذاهب غريبة منحرفة.

وعبدالله بن سبأ شخص خرافي بغير شكّ، فأين هو من الأحداث جميعاً؟ وأين هو من الصراعات الناشبة في هذا العالم الكبير المتعدّد...؟ وماذا يستطيع شخص مهما تكن قيمته أن يلعب بمفرده بين هذه التيارات المتطاحنة؟

إنّ الأحداث السريعة العنيفة المتلاحقة لم تكن في حاجة إلى شخص ما حتّى ولو كان الشيطان نفسه، لأنّ أُصولها بعيدة الغور، وقوة اندفاعها لا قِبَل لأحدٍ بالسيطرة عليها أو توجيهها، فضلاً عن تشابكها وتعدّدها بما لايدع لأيّ قوة أن تزيدها تعقيداً.

وساذج بغير شكّ التفكير الذي يتّجه إلى خلق شخصية خرافية كهذه ليعطيها أيّ أثرٍ فيما حدث من أحداث، وأكثر سذاجةً منه من يظنّ لهذا الرجل تأثيراً ما على كبار الصحابة، ومنهم أبو ذرّ الغفاري نفسه الذي لم يقبل مناقشة أبي هريرة المحدّث المعروف، وضربه فشجّه قائلاً في ازدراء: «أتعلّمنا ديننا يابن اليهودية؟!

إنّما كلّ ما حيك من قصص حول عبدالله بن سبأ هو من وضع المتأخّرين. فلا دليل على وجوده في المراجع القديمة. فضلاً عن سخافة التفكير في احتمال وجوده أصلاً»[1].

---

١. اليمين واليسار في الإسلام: ٩٥.

الفصل الثالث:

موقف علماء الشيعة
من شخصية ابن سبأ

لقد تفاوتت نظرة علماء الشيعة وباحثيهم تجاه شخصية «عبدالله بن سبأ». فمنهم من يرىٰ أنّها شخصية هامشية ليس لها ذلك الدور الخطر الذي رسم لها، وأنّه منحرف الأفكار والعقائد، مغالٍ، تصدّىٰ له أمير المؤمنين عليه السلام فأحرقه أو نفاه على اختلاف الروايات، فلعنه العلماء في كتبهم وكفّروه، واعتقدوا وجوب التبرّيٰ منه؛ استناداً إلى روايات وردت عن أهل البيت عليهم السلام. وعلىٰ هذا الرأي جماعة من العلماء والرجاليّين المتقدّمين وبعض المتأخّرين.

ومنهم من يرىٰ أنّها شخصية أُسطورية خرافية، من نسج خيال أُولئك الذين لا هم لهم سوىٰ التصيّد في الماء العكر، والقفز علىٰ حقائق التاريخ لأغراض ومآرب خبيثة. وهذا الرأي يذهب إليه بعض العلماء والباحثين المتأخّرين.

وسوف نستعرض بعض الأقوال من كلا الفريقين باختصار.

فمن أبرز من ذهب إلى الرأي الأول:

١. الأشعري سعد بن عبدالله القمي (٢٩٩، أو ٣٠١هـ)

قال: «هذه الفرقة تسمّى السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وهو عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني، وساعده على ذلك عبدالله بن حرسي وابن أسود، وهما من أجلّة أصحابه، وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرّأ منهم»[١].

---

١. المقالات والفرق: ٢٠.

٢. الحسن بن موسى النوبختي (٣١٠هـ)

قال: «السبئية»: أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان ممّن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرّأ منهم وقال: إنّ علياً عليه السلام أمر بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فأقرّ به، فأمر بقتله... فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلاً يدعو إلى حبّكم أهل البيت، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيّره إلى المدائن... إلى أن قال: ولمّا بلغ عبدالله بن سبأ نعي[١] علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرّة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنّه لم يمت ولم يُقتل، ولا يموت حتّى يملك الأرض»[٢].

٣. الكشي (٣٦٠هـ)

ذكر عبدالله بن سبأ، وأورد خمس روايات من الأئمة عليهم السلام في البراءة من عبدالله بن سبأ، ولعنه وذمّه، منها:

❊ حدثني محمد بن قولويه، قال: حدثني سعد بن عبدالله، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن ابن عمير، عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول وهو يحدّث أصحابه بحديث عبدالله بن سبأ، وما ادّعى من الربوبية في أميرالمؤمنين عليه السلام، فأبىٰ أن يتوب، فأحرقه بالنار.

❊ حدثني محمد بن قولويه، قال: حدثني سعيد بن عبدالله، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لعن الله عبدالله بن سبأ، إنّه ادّعى الربوبية في أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن

---

١. أي خبر استشهاد علي بن أبي طالب عليه السلام.
٢. فرق الشيعة: ٢٢.

كذب علينا، وأنّ قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم».

* وبهذا الإسناد: عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير. وأحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه والحسين بن سعيد، عن ابن ابي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «لعن الله من كذب علينا، إنّي ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كلّ شعرة في جسدي، لقد ادّعى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله؟! كان علي عليه السلام والله عبداً لله صالحاً، أخا رسول الله، ما نال الكرامة من الله إلّا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلّا بطاعته لله».

* وبهذا الإسناد: عن محمد بن خالد الطيالسي، عن ابن أبي نجران، عن عبدالله (بن سنان) قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّا أهل بيت صدّيقون، لانخلو من كذّاب، يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق الناس لهجةً، وأصدق البريّة كلّها، وكان مسيلمة يكذب علينا، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه، ويعمل في تكذيب صدقه، ويفتري على الله الكذب: عبدالله بن سبأ».

قال الكشي: وذكر بعض أهل العلم: أنّ عبدالله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصيّ موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام مثل ذلك، وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفّرهم[١].

٤. محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه الصدوق (٣٨١هـ)

أورد حديثاً في صفة الدعاء، جاء فيه ذكر ابن سبأ، وقال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء، وينصب في الدعاء» فقال

١. رجال الكشي: ٩٨ ـ ١٠١.

ابن سبأ: يا أمير المؤمنين، أليس الله عز وجل بكلّ مكان؟ قال: «بلىٰ،» قال: فلِمَ يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: «أو ما تقرأ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١] فمن أين يطلب الرزق إلّا من موضعه، وموضع الرزق ما وعد الله عزّ وجلّ السماء»[٢].

وأورد هذه الرواية في ضمن رواية طويلة في كتاب «الخصال»[٣].

٥. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة (٤٦٠ هـ)

فقد ترجم شيخ الطائفة الطوسي حقيقة عبدالله بن سبأ في كتابه «رجال الطوسي» في باب: أصحاب علي عليه السلام، وقال: «عبدالله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر، وأظهر الغلو».

كما وذكر في حاشية كتابه: «عبدالله بن سبأ ـ بالسين المهملة المفتوحة، والباء المنقطعة تحتها نقطة ـ: غالٍ ملعون، حرّقه أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنار، وكان يزعم أنّ علياً عليه السلام إله، وأنّه نبي».

ثم ذكر رواية للكشي في عبدالله بن سبأ، فقال: «و قد أُلّفت في ترجمة عبدالله بن سبأ مؤلّفات عديدة»[٤].

٦. ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)

ذكر أنّ ابن سبأ أول من أظهر الغلو في زمن علي عليه السلام، قال: «و أول من جهر بالغلوّ في أيامه: عبدالله بن سبأ، قام إليه وهو يخطب، فقال له: أنت أنت، وجعل

---

١. الذاريات: ٢٢.

٢. من لايحضره الفقيه ١: ٣٢٥ باب: التعقيب ح ٩٥٥. ورواها الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ٢: ٣٢٢ ح ١٧١.

٣. كتاب الخصال: ٦٢٨.

٤. رجال الطوسي: ٥١.

يكرّرها، فقال له: ويلك من أنا؟ فقال: أنت الله. فأمر بأخذه، وأخذ قوم كانوا معه على رأيه»[1].

٧. الحسن بن علي العلّامة الحلّي (٧٢٦ هـ)

فقد ذكر العلّامة الحلي في رجاله عبدالله بن سبأ، وذكره ضمن أصناف الضعفاء[2].

٨. عناية الله بن علي القهبائي (١٠١٦هـ)

فقد ذكر العلّامة والبحّاثة الرجالي عناية الله بن علي القهبائي عبدالله بن سبأ في كتابه «مجمع الرجال» فقال: «عبدالله بن سبأ، الذي رجع إلى الكفر، وأظهر الغلو».

ثم ذكر روايات الكشي، ومنها:

عن عبدالله بن سنان، قال: حدثني أبي، عن أبي جعفر ﷺ: «إنّ عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوة، ويزعم أنّ أمير المؤمنين ﷺ هو الله تعالى عن ذلك، فبلغ ذلك أمير المؤمنين ﷺ، فدعاه وسأله، فأقرّ بذلك، وقال: نعم، أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنّك أنت الله، وأنّي نبي! فقال له أمير المؤمنين: ويلك، قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: إنّ الشيطان استهواه، وكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك»[3].

٩. محمّد بن علي الأردبيلي (١١٠١هـ)

وذكر الأردبيلي عبدالله بن سبأ في كتابه «جامع الرواة» أيضاً، فقال: «إنّه غالٍ ملعون... وكان يزعم ألوهية علي ونبوته»[4].

---

١. شرح نهج البلاغة ٥: ٥، ب ٥٨.

٢. رجال الحلّي: ٢٥٤ القسم الثاني ط ـ قم، إيران.

٣. رجال القهبائي: ٣: ٢٨٤.

٤. جامع الرواة ١: ٤٨٥ ط ـ دار الأضواء، بيروت.

١٠. محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)

ذكر المجلسي في كتابه «بحارالأنوار»: «أنّ السبئية ممّن تقول: بأنّ المهدي هو علي بن أبي طالب ﷺ، وأنّه لم يمت»[١].

وذكر أيضاً في باب: الفتن الحادثة بمصر: ما رواه عن إبراهيم (الثقفي) عن رجاله، عن عبدالرحمان بن جندب، عن أبيه، قال: دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وحبّة العرني والحارث الأعور وعبدالله بن سبأ على أمير المؤمنين بعدما افتتحت مصر وهو مغموم حزين، فقالوا له: بيّن لنا ما قولك في أبي بكر وعمر، فقال لهم علي ﷺ: «هل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي بها قد قُتلت، أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عمّا سألتم، وأسألكم أن تحفظوا من حقّي ما ضيّعتم، فاقرؤوه على شيعتي، وكونوا على الحقّ أعواناً»[٢].

ونقل العلّامة محمد باقر المجلسي أيضاً في كتابه في باب: أحوال سائر أصحابه ﷺ، روايةً نقلها عن طريق الشيخ المفيد: عن عمّار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: جاء المسيّب بن نجية إلى أميرالمؤمنين علي ﷺ متلبباً[٣] بعبد الله بن سبأ، فقال له أمير المؤمنين ﷺ: «ما شأنك؟» فقال: يكذب على الله وعلى رسوله، فقال: «ما يقول؟» قال[٤]: فلم أسمع مقالة المسيّب، وسمعت أميرالمؤمنين ﷺ يقول: «هيهات هيهات الغضب، ولكن يأتيكم راكب الدغيلة، يشدّ حقوها بوضينها، لم يقض تفثاً من حجّ ولا عمرة فيقتلوه». يريد بذلك الحسين بن علي ﷺ [٥].

وروي عن زرارة أنّه قال: قلت للصادق ﷺ: إنّ رجلاً من ولد عبدالله بن سبأ

---

١. بحارالأنوار ٥١: ٢١٠.

٢. المصدر السابق ٣٣: ٥٦٦.

٣. تلبلب للقتال: إذا تشمّر وتحزّم.

٤. أي قال أبو الطفيل.

٥. بحارالأنوار ٤٢: ١٤٦.

يقول بالتفويض، فقال: «وما التفويض؟» قلت: إنّ الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً صلوات الله عليهما ففوّض إليهما، فخلقا ورزقا، وأماتا وأحييا، فقال عليه السلام: «كذب عدوّ الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾».[1]

فانصرفت إلى الرجل فأخبرته، فكأنّي ألقمته حجراً، أو قال: فكأنّما خرس.[2]

١١. نعمة الله الجزائري (١١١٢هـ)

يقول نعمة الله الجزائري، في كتابه «الأنوار النعمانية»: «قال عبدالله بن سبأ لعلي عليه السلام: أنت الإله حقاً. فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن، وقيل: إنّه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون، وفي موسى، مثل ما قال في علي...»[3].

١٢. محمد باقر الخونساري (١٣١٣هـ)

وأمّا محمد باقر الخونساري فقد ذكر ابن سبأ كما جاء على لسان الصادق الصدوق الذي لعنه، لاتّهامه بالكذب والتزوير[4].

١٣. ميرزا النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)

فقد ذكره العلّامة النوري في كتابه «مستدرك الوسائل» في باب: حكم الغلاة والقدرية ضمن روايةٍ عن عمار الساباطي، قال: قدم أمير المؤمنين عليه السلام المدائن، فنزل بإيوان كسرى، وكان معه دلف بن مجير منجّم كسرى، فلمّا زال الزوال، قال لدلف: «قم معي»... إلى أن قال: ثم نظر إلى جمجمةٍ نخرةٍ، فقال لبعض أصحابه:

---

١. الرعد: ١٦.
٢. بحارالأنوار ٢٥: ٣٤٤.
٣. الأنوار النعمانية ٢: ٢٣٤.
٤. روضات الجنات ٣: ١٣٣ ط ـ الدار الإسلامية، بيروت.

«خذ هذه الجمجمة» وكانت مطروحة، وجاء إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطست وصبّ فيه ماء، وقال له: «دع هذه الجمجمة في الطست»، ثم قال ﷺ: «أقسمت عليك يا جمجمة، أخبريني من أنا؟ ومن أنت؟» فنطقت الجمجمة بلسان فصيح، وقالت: أمّا أنت، فأمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، وإمام المتّقين في الظاهر والباطن. وأمّا أنا فعبدالله وابن أمة الله كسرى أنو شيروان.

فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهاليهم، وأخبروهم بما كان، وبما سمعوه من الجمجمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أميرالمؤمنين ﷺ، وحضروه وقال بعضهم فيه مثل ما قال النصارى في المسيح، ومثل ما قال عبدالله بن سبأ وأصحابه. فقال لهم أصحابه: فإن تركتم على هذا كفر الناس، فلمّا سمع ذلك منهم، قال لهم: «ما تحبّون أن أصنع بهم؟» قال: تحرقهم بالنار، كما أحرقت عبدالله بن سبأ وأصحابه.[1]

١٤. المامقاني (١٣٥١هـ)

فقد ترجم لابن سبأ في كتابه «تنقيح المقال» وذكر أنّه جاء ذكره في كتاب «من لا يحضره الفقيه» في باب التعقيب، وفي «باب: أصحاب أميرالمؤمنين، ثم نقل قول الصدوق: «عبدالله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر، وأظهر الغلو» وقال: «غالٍ ملعون، حرّقه أمير المؤمنين بالنار، وكان يزعم أنّ علياً إله، وأنّه نبي».

ثم ذكر روايات الكشي في عبدالله بن سبأ[2].

١٥. محمد حسين المظفري (١٣٦٩هـ)

وأمّا محمد حسين المظفري ـ وهو من علماء الشيعة المعاصرين ـ فإنّه لا ينكر

---

١. مستدرك الوسائل ١٨: ١٦٨ ب، وانظر: مدينة المعاجز ١: ٢٢٦.

٢. تنقيح المقال في علم الرجال ٢: ١٨٣، ١٨٤.

وجود ابن سبأ، ولكنّه ينفي أن يكون للشيعة به أيّ اتّصال، فيقول: «و أمّا ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أنّ أصل مذهب التشيّع من بدعة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، فهو وهم، وقلّة معرفة بحقيقة مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة، وبراءتهم منه، ومن أقواله وأعماله، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم، علم مبلغ هذا القول من الصواب»[١].

١٦. شريف يحيى الأمين

فقد ترجم لابن سبأ في كتابه «معجم الفرق الإسلامية» وقال: «السبئية: أصحاب عبدالله بن سبأ الذي غلا في علي عليه السلام، وزعم أنّه كان نبيّاً، ثم غلا فيه حتّى زعم أنّه إله، قائلاً له: (أنت الإله حقّاً) فنفاه علي إلى المدائن.

فلمّا قُتل علي عليه السلام. قال ابن سبأ: لم يمت ولم يُقتل، وإنّما قتل ابن ملجم شيطاناً تصوّر بصورة علي، وعلي في السحاب، والرعد صوته والبرق سوطه، وأنّه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلاً، وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد: وعليك السلام يا أميرالمؤمنين.

وقال ابن سبأ: إنّ علياً صعد إلى السماء كما صعد عيسى بن مريم عليه السلام. وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى عليه السلام، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنّما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبّهوه بعيسى عليه السلام، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنّوا أنّه علي.

وقالوا: هُدينا لوحيٍ ضلّ عنه الناس، وعلمٍ خفي عليهم! وزعموا: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي! وهي أول من قالت بالتوقّف والغيبة والرجعة، وهي من الفرق البائدة، انظر الغلاة».[٢]

---

١. تاريخ الشيعة: ١٠.

٢. معجم الفرق الإسلامية: ١٣٢.

١٧. صائب عبدالحميد

كتب يقول: «أمّا الشيعة فقد رووا بالأسانيد الصحاح عن ثلاثة من الأئمة: زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام أنّهم لعنوا عبدالله بن سبأ وأصحابه».

ثم قال أيضاً: «فإن أراد ابن تيمية أن يعرف حقيقة هذا اليهودي المحترق (ابن سبأ) فعليه أن يرجع إلى كتب الشيعة وحدهم».[١]

❊ ❊ ❊

هذه بعض عقائد علماء الشيعة الذين أشاروا إلى عبدالله بن سبأ وكفره وغلوّه، ووجوب التبرّئ منه، وصرّحوا بوجوب لعنه، كما لعنه الأئمة عليهم السلام.

المنكرون لوجوده

أمّا المحقّقون من العلماء والباحثين الشيعة الذين أنكروا شخصية «عبدالله بن سبأ»، وذهبوا إلى كونها أُسطورة وخرافة لاوجود لها على أرض الواقع، فبالإمكان تقسيمهم إلى قسمين: قسم أفرد لذلك بحثاً خاصاً ودراسة معمّقة، وقسم أشار إلى ذلك على نحو الإجمال والاختصار.

فمن الذين تصدّوا لإبطال فرية «عبدالله بن سبأ» بالبحث والتحقيق:

١. العلّامة مرتضى العسكري... دراسة تاريخية

من الباحثين المدقّقين الذين استقصوا هذه المسألة، وأثبتوا أنّ قصتها لا تعدو أن تكون ضرباً من ضروب الوهم، لا أساس لها من الصحّة، هو

---

١. ابن تيمية حياته وعقائده: ٢٣٧، ٢٣٨ ط ـ دار الغدير، بيروت.

العلّامة المعاصر السيد مرتضىٰ العسكري.

لقد اضطلع السيد العسكري بتحقيقٍ شاملٍ، قام على أساس بحثٍ مستوفٍ لقصة ابن سبأ، وقد جاءت نتائج البحث في كتاب ضخم وقيّم من مجلدين، وصدر بعنوان: عبدالله بن سبأ وأساطير أخرىٰ[1].

وقد أثبت الباحث الكبير بدلائل تاريخية ثابتة، ودراسة موضوعية، منشأ هذه الأسطورة الوهمية التي مافتئ خصوم الشيعة يلصقون بهم هذه التهمة بلا دليل علمي ولا مستند تاريخي. وقد أوردنا بحث السيد العسكري في هذه المسألة عند بحثنا للجذور التاريخية لقصة ابن سبأ، حيث ذكر أنّ الذي أوردها هو الطبري من طريق الراوية الوضّاع سيف بن عمر، وأنّ طريقه منحصر في سيف الذي أشار السيد العسكري إلى ترجمته، وأثبت من خلالها أنّه من الضعاف المتروكين الذين لا يعبأ بهم، كما صرّح بذلك كبار علماء الجرح والتعديل، ممّا يجعل الأسس التي بنيت عليها هذه الخرافة تنهار وتتهاوىٰ ولاتصمد أمام البحث والنقاش الموضوعي الذي جاءت به قريحة الباحث العلّامة.

وللعلّامة العسكري دراسة علمية تاريخية أخرىٰ حول هذا الموضوع، قد صدر الجزء الأول منها ـ ويقع في ٣٦٦ صفحة ـ تحت عنوان: «الأسطورة السبئية كما تخيّلها واختلقها سيف بن عمر» عن كلية أصول الدين في الحوزة العلمية بقم، إيران، سنة ١٤٢٤هـ.

٢. الدكتور علي الوردي.. دراسة معمّقة

يبدأ الدكتور علي الوردي، الأستاذ في جامعة بغداد، بواقعة تلّخص نتائج وضع قصة ابن سبأ، إذ يقول في كتابه: «سمعت ذات يوم أحد القساوسة وهو يسخر من

---

١. صدرت الطبعة الأولىٰ من المجلّد الأول سنة ١٣٧٥هـ في النجف الأشرف في العراق، ثم جدّد طبعه في القاهرة، وقد صدر المجلّد الثاني في طهران، ثم في بيروت.

الإسلام قائلاً: انظروا إلى هذا الدين، فهو في إبّان عزّه وانتصاره يقع فريسة هيّنة لرجلٍ غريبٍ لايعرف التاريخ عنه شيئاً كثيراً، ففي تعاليم نبيّهم، نرى طارئاً يهودياً يدخل ذلك المجتمع فيمزّقه تمزيقاً مريعاً، من غير أن يرفع أحد يده لطرده أو للبطش به»[١].

ثم ينتقل بعد أن يستعرض آراء الباحثين بين مؤيّدٍ لوجود مثل هذه الشخصية ورافضٍ لها، إلى عرض التساؤل التالي: «وهنا نقف حائرين بين رأيين متناقضين: فهل كان ابن سبأ شخصاً حقيقياً أم كان وهمياً؟

إنّ هذا سؤال مهمّ جدّاً عند من يريد أن يدرس تاريخ المجتمع الإسلامي ويعتبر بعظاته البالغات. وقد يصحّ لنا أن نضع السؤال بشكل آخر، فنقول: هل كان المجتمع الإسلامي آنذاك في حاجة إلى من يثيره أو يحرّضه على الفتنة؟

يبدو أنّ المؤرّخين الذين نقلوا قصة ابن سبأ يتصوّرون أنّ المجتمع الإسلامي كان في ذلك الحين راضياً هادئاً مطمئنّاً، فلم يكن لديه ما يزعجه أو يقلقه، وأحسب أنّ هؤلاء المؤرّخين من طراز الوعّاظ الذين يتّبعون في تفكيرهم منطق طاليس القديم، فهم إذا رأوا حركةً اجتماعيةً تعجّبوا وتساءلوا! كأنّ الحركة في نظرهم شذوذ في طبيعة المجتمع، وعرض طارئ عليه.

إنّ المنطق الاجتماعي الحديث يؤمن بأنّ المجتمع ذو طبيعةٍ حركيةٍ أصيلةٍ فيه، فهو في صيرورة دائمة، أو ما يطلقون عليه في الاصطلاح العلمي (Process).

والمنطق الحديث لايعجب حين يرى المجتمع متحرّكاً، إنّما هو يعجب ويتساءل حين يراه ساكناً، فالسكون في نظر المنطق الحديث شذوذ عارض، أمّا الحركة فهي الأساس الذي يقوم عليه الكيان الاجتماعي في معظم الأحيان.

إنّ المجتمع الإسلامي في تلك الفترة التي ظهر فيها أبو ذرّ كان يعاني أزمةً اجتماعيةً كبرى، فكان الفرق بين الغني والفقر شاسعاً تتقزّز منه النفوس.

---

١. وعّاظ السلاطين: ٩٦، ط ـ بغداد، العراق.

إنّ الثورة كانت في ذلك الحين لابدّ منها، فنحن لانحتاج إلى تعليل لظهورها، إنّما نحتاج بالأحرى إلى تعليل فيما لو لم تحدث إذ ذاك ثورة أو فتنة».

ثم يضيف الوردي قائلاً: «يخيّل لي أنّ ابن سبأ الذي ينسب إليه تحريك الثورة كان وهماً من الأوهام، كما قال الدكتور طه حسين.

ويبدو أنّ هذه الشخصية العجيبة اختُرعت اختراعاً. وقد اخترعها أُولئك الأغنياء الذين كانت الثورة موجّهة ضدّهم، وهذا هو شأن الطبقات المترفة في كلّ مرحلة من مراحل التاريخ إزاء من يثور عليهم.

فكلّ انتفاضة اجتماعية يعزوها أعداؤها إلى أجنبي، وقد أشار إلى هذا البروفيسور «سمل» الباحث الاجتماعي المعروف.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنّ محمداً نفسه اتّهمته قريش في بدء دعوته بأنّه كان يأخذ تعاليمه من غلام نصراني اسمه «جبر».[1]

واتّهمه بعضهم بعد ذلك بأنّه كان يتلقّىٰ أفكاره من «بحيرا» الراهب و«سلمان الفارسي» وغيرهما[2].

إنّ كلّ مبدأ جديد يعزوه المترفون إلى تأثير نزعة أجنبية غريبة. حدث هذا ـ كما أبان البروفيسور سمل ـ في مختلف مراحل التاريخ».[3]

ويقول الدكتور الوردي أيضاً: «أرجع المؤرّخون السبب الأكبر في تلك الفتنة إلى عبدالله بن سبأ، ذلك اليهودي الطارئ الذي دخل في الإسلام يريد الكيد له.

الظاهر أنّ أصحاب الملكيات الكبيرة التي نشأت أيام عثمان، هالهم ذلك التذمّر الذي انتشر بين الجمهور إزاء ثرواتهم المفرطة، فنسبوا هذا التذمّر إلى شخص يهودي طارئ جاء يريد المكيدة بالإسلام وأهله، وكأنّهم بذلك أرادوا تغطية السبب

---

١. وانظر حياة محمد، محمد حسنين هيكل: ١٣٦ ط ـ القاهرة.
٢. وانظر شخصيات قلقة في الإسلام، عبدالرحمان بدوي: ٣٣ ط ـ القاهرة.
٣. وعاظ السلاطين: ٩٧ ـ ٩٨.

الأصلي في ثورة الغوغاء عليهم.

إنّ الأعمال العظيمة التي تنسب إلى عبدالله بن سبأ لايمكن أن يقوم بها إلّا عبقري أو ساحر أو منوّم مغناطيسي من طراز فذّ، فهو لابدّ أن يكون ذا عيون مغناطيسية تكسر الصخور، أو ذا قوة نفسية خارقة تجعل الناس أمامه كالغنم، يتأثّرون بأقواله من حيث لايشعرون!

ولو كان قد ظهر في أيام عثمان مثل هذا الرجل، لوصل إلينا وصفه على وجهٍ من الوجوه. والغريب أنّنا لانجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمّة التي قصّت أمر الخلاف على عثمان.

ولست أجد في التاريخ حكايةً وهميةً تروّج وتبقىٰ على توالي الدهور مثل هذه الحكاية السخيفة. ولذا نجد ابن سبأ قد تحمّل أوزار العالمين جميعاً. ولو كان ابن سبأشخصاً حقيقياً، لكثر بكاؤه واعتراضه على هذه التهم التي تكال له»[١].

ويخلص الدكتور الوردي في آخر الفصل الخامس من كتابه، إلى تسجيل هذه النتيجة: «إنّ عبدالله بن سبأ موجود في كلّ زمان ومكان، فكلّ حركة جديدة يكمن وراءها ابن سبأ، فإن هي نجحت اختفى اسم ابن سبأ من تاريخها وأصبحت حركةً فضلىٰ، أمّا إذا فشلت فالبلاء نازل على رأس ابن سبأ، وانهالت الصفعات عليه من كلّ جانب.

إنّ ابن سبأ لايهدأ علىٰ كلّ حال، فهو دائب ينتهز الفرص في كلّ سبيل، وما دام الظلم موجوداً فإنّ كلّ إنسان يحتمل أن يكون سبئياً والعياذ بالله»[٢].

هل عمّار بن ياسر هو ابن السوداء؟

يؤثر عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر للصحابي الجليل عمّار بن ياسر أنّه تقتله الفئة

---

١. المصدر السابقه: ١١١.

٢. وعّاظ السلاطين: ١١٥.

الباغية، وقد قُتل عمّار في صفّين من قبل جيش معاوية.

وممّا يروىٰ أنّ عمّاراً خطب في صفّين، فكان ممّا قال:

«انهضوا معي عباداللّه إلى قومٍ يزعمون أنّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباداللّه بغير ما في كتاب اللّه... فقال هؤلاء الذين لايبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه، فقالوا: إنّه لم يحدث شيئاً؛ وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال. واللّه ما أظنّهم يطالبون بدمه، إنّهم يعلمون أنّه الظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحبّوها، وعلموا أنّ صاحب الحقّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها».[١]

وقد ذكر ابن العربي في كتابه: أنّ عمّاراً قال ذات مرة: «لقد كفر عثمان كفرةً صلعاء». فلمّا سمع علي عمّاراً يكفّر عثمان، لامه علىٰ ذلك. وهذا الأمر هو الذي بعث المؤرّخين على القول بأنّ السبئيين اتّصلوا بعمّار، والتفّوا به ليستميلوه».[٢]

وبعد أن ينقل الدكتور علي الوردي أقوال ابن العربي هذه، يعود ليقول: «ولكنّ هؤلاء المؤرّخين لم يقولوا عن عمّار أنّه كان سبئياً، كأنّهم لم يجرأوا أن يطلقوا عليه هذا النعت الذميم، وهو ذلك الصحابي الجليل الذي عُذِّب في سبيل اللّه كثيراً، وتحدّث النبي بفضله مراراً.

الواقع أنّه كان سبئياً بكلّ ما في هذه الكلمة من معنى، وقد ظلّ سبئياً حتّى مات! وأتصوّر أنّه كان زعيم السبئيين الأكبر، أي أنّه ابن سبأ بالذات».[٣]

ثم يتساءل الوردي بعد ذلك فيقول: «هنا قد يعترض سائل فيقول: أين ذهب ابن سبأ في هذه المعمعة الكبرى؟

---

١. انظر عمّار بن ياسر، عبداللّه السبيتي: ١٥٠ ـ ١٥١.

٢. العواصم والقواصم، ابن العربي: ١٥٠ ـ ١٥١.

٣. وعّاظ السلاطين: ١٧٢، ١٧٤.

إنّ من أغرب الأُمور أن نجد ابن سبأ حاضراً في كلٍّ من حوادث الثورة على عثمان، والحوادث التي جرت بعدها، ثم نراه غائباً في معركة صفّين، يوم قُتل عمّار بن ياسر! فلماذا اختفىٰ هذا الداهية الدهماء في تلك المعركة الطاحنة، وأين اختفىٰ؟

إنّ المؤرّخين لم يجيبوا على هذا السؤال المحيّر قليلاً أو كثيراً.

الواقع أنّ ابن سبأ لم يختف أثناء معركة صفّين، فهو بالأحرىٰ لم يكن له وجود حقيقي حتّى يختفي، إنّه كان وهماً، كما ذكرنا في فصلٍ سابق، والوهم يأتي ويذهب تبعاً لمقصد أصحابه والمخترعين له».

ثم يضيف الوردي: «يخيّل لي أنّ حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت حكايةٌ متقنة الحبك، رائعة التصوير. إنّ القرشيين لم يكونوا دهاة في ميدان السياسة فحسب، فقد كانوا ماهرين في فنّ القصص أيضاً. ويبدو أنّ قريشاً كانت في أيام عثمان تتحدّث عن عمّار بن ياسر في منتدياتها الخاصة، وتشتمه سرّاً، حيث لم تكن ترىٰ من مصلحتها إعلان شتيمته أمام الناس آنذاك.

وربّما سمع أحد الرواة قريشاً تلهج بذكر ابن السوداء وتشتمه، فظنّ أنّها تعني شخصاً آخر غير عمّار بن ياسر.

ومن يدري فلعلّ حكاية «ابن سبأ» نشأت في أول الأمر من هذا الظنّ الخاطئ، ثم تراكمت حولها الأساطير بعد ذلك شيئاً فشيئاً.

ومن غرائب التاريخ أن نرىٰ كثيراً من الأُمور التي تنسب إلى «ابن سبأ» موجودة في سيرة عمّار بن ياسر على وجهٍ من الوجوه، وهذا أمر يدعو إلى تأمّل.

أعرض على القارئ فيما يلي بعض هاتيك الأُمور التي اشترك فيها عمّار وابن سبأ، يرىٰ رأيه فيها:

١ ـ كان ابن سبأ يُعرف بابن السوداء، وقد رأينا كيف أنّ عمّاراً يكّنىٰ بابن السوداء أيضاً.[١]

---

١. وكان الدكتور الوردي قد أشار في مطلع هذا الفصل إلى أقوال قريش، وكيف أنّها كانت تدعو عمّاراً بالعبد وابن السوداء.

٢ ـ وكان عمّار من أب يماني، ومعنى هذا أنّه كان من أبناء سبأ. فكلّ يماني يصحّ أن يقال عنه: إنّه ابن سبأ. فأهل اليمن كلّهم ينتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وفي القرآن: قال الهدهد لسليمان: إنّه جاءه من سبأ، وقصد بذلك اليمن.

٣ ـ وعمّار فوق ذلك كان شديد الحبّ لعلي بن أبي طالب، يدعو له، ويحرّض الناس على بيعته في كلّ سبيل.

يحكي الآلوسي: «أنّ رجلاً جاء إلى عمّار يسأله تفسير الآية القرآنية القائلة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، فقال عمّار عن هذه الدابّة المتكلّمة: إنّها علي بن أبي طالب!»[١].

وهذا القول الذي ينسب إلى عمّار نجد له مثيلاً ينسب إلى ابن سبأ، حيث كان فيما يقولون: يؤمن برجعة علي إلى الحياة بعد موته.

٤ ـ وقد ذهب عمّار في أيام عثمان إلى مصر، وأخذ يحرّض الناس على عثمان، فضجّ الوالي منه، وهمّ بالبطش به[٢].

وهذا الخبر يشابه ما نسب إلى ابن سبأ من أنّه استقرّ في مصر، واتّخذ الفسطاط مركزاً لدعوته، وشرع يراسل أنصاره منها.

٥ ـ وينسب إلى ابن سبأ قوله: إنّ عثمان أخذ الخلافة بغير حقّ، وإنّ صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب.

والواقع أنّ هذا هو كلام عمّار بن ياسر بالذات، فقد سمع ذات يوم يصيح في المسجد إثر بيعة عثمان: يا معشر قريش... أمّا إذا صرفتم هذا الأمر عن بيت نبيّكم، هاهنا مرة وهاهنا مرة، فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله»[٣]

---

١. روح المعاني ٦: ٣١٢.
٢. انظر الفتنة الكبرى، طه حسين ١: ١٢٨.
٣. انظر أهل البيت، عبدالحميد السحّار ٦٦. ط ـ قاهرة.

٦ ـ ويعزى إلى ابن سبأ أنّه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة إبّان معركة البصرة. ومن يدرس تفاصيل واقعة البصرة، يجد عمّاراً يقوم بدور فعّال فيها، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الأشتر إلى الكوفة يحرّض الناس على الانتماء إلى جيش علي.

٧ ـ وقالوا عن ابن سبأ: إنّه هو الذي حرّك أبا ذرّ في دعوته الاشتراكـية!. ولو درسنا صلة عمّار بأبي ذرّ لوجدناها وثيقة جداً، فكلاهما من مدرسةٍ واحدةٍ؛ هي مدرسة علي بن أبي طالب.

إنّ أباذر لا يحتاج إلى ابن سبأ ليعلّمه بأنّ الفيء هو مال المسلمين، إذ لايجوز أن يسمّى مال الله، إنّ صاحبيه: عمّاراً وعلياً أجدر بأن يعلّماه ذلك إذا كان لم يعلم به من قبل».

أخيراً ينتهي الوردي إلى هذه المحصّلة: نستخلص من هذا أنّ ابن سبأ لم يكن سوى عمّار بن ياسر، فقد كانت قريش تعتبر عمّاراً رأس الثورة على عثمان، ولكنّها لم تشأ في أول الأمر أن تصرّح باسمه، فرمزت عنه بابن سبأ أو ابن السوداء، وتناقل الرواة هذا الرمز غافلين، وهم لايعرفون ماذا كان يجري وراء الستار».[١]

٣. الأستاذ عبدالله السبيتي... دراسة تاريخية

الأستاذ العلّامة الشيخ عبدالله السبيتي هو عالم من علماء الشيعة في العراق، له كتب قيّمة كثيرة؛ من قبيل: (تحت راية الحقّ) و(المباهلة) و(حجّة الوداع) و(سلمان الفارسي) و(أبوذرّ الغفاري) و(عمّار بن ياسر) و(حجر بن عدي).

ومن بين مؤلّفات السبيتي كتاب قيّم وضعه في الردّ على كتاب سعد محمد حسن أحد شيوخ الأزهر، المعنون بـ(المهدوية في الإسلام)!

يتحلّى كتاب الأستاذ السبيتي هذا بأهميّة خاصة، من جهات عدّة؛ من بينها

---

١. وعّاظ السلاطين: ١٧٦ ـ ١٨٠.

تعرّضه للردّ على ما أثاره سعد محمد حسن في كتابه من قصة ابن سبأ التي نحن بصددها، فما كان من السبيتي إلّا أن تناول المسألة مفصّلاً من خلال بحثٍ ضافٍ، نهض في نقض الأسطورة السبئية على أساس أدلّة تاريخية كثيرة.

أشار السبيتي في مطلع بحثه[١] إلى أنّ السبئية لا وجود لها، ولا عين لها ولا أثر، إلّا في عالم الوهم، وفي خيال أعداء الشيعة، إذ هي تفتقر للوجود الخارجي، ثم أوضح أنّ هذه الأُسطورة هي جزء ممّا ألصقه من ناهض التشيّع بالعداء، في طوال تاريخ هذا المذهب.

الأُسطورة السبئية ـ كما يكتب السبيتي ـ هي صناعة عجيبة غريبة، لا تصمد أمام البحث الدقيق، ولا يصدّقها من يخضع لمنطق البحث.

لقد كانت الوسيلة الوحيدة للعهود السالفة في التستّر على الحقّ، هي إلقاء التهم وترويجها للانقضاض على الخصم، وهذا ما حصل مع الشيعة، حيث اختلق لهم أعداؤهم السبئية وعبدالله بن سبأ، وألصقوهما بالتشيّع، وإلّا فمسألة ابن سبأ كما تتحدّث عنها الأُقصوصة التاريخية هي أدعى إلى إثارة السخرية والضحك.

فكيف تأتّى لابن سبأ وللسبئية أن تنهض على حين غرّة في حياة المسلمين في عهد عثمان، ثم تستطيع في مدّةٍ قصيرةٍ أن تأتي على خليفة المسلمين وتقتله، لتثير الفتنة بعدئذٍ في أوساطهم، ثم تبقى هذه الفتنة (السبئية) تتناسل عبر الأجيال وتتوالد خلال العصور؟

تتحدّث الأُقصوصة عن قدرةٍ خفيّةٍ لابن سبأ، الذي استطاع أن يقبض بين يديه وحده عالم الإسلام المقتدر الفسيح وهو في قوته وعزّته، بحربة اليهودية، هذه الحربة السحرية الخفيّة التي فتحت في الدين جرحاً، وانقضّت على معنويات المسلمين، فقضت عليها قضاءً مبرماً.

وفي الواقع لايملك المرء إلّا أن يتساءل: كيف لم يبادر عبدالله بن سبأ اليهودي

---

١. راجع: إلى مشيخة الأزهر: ١١٠ ـ ١١٨.

الذي يفوق «بن غوريون» في المكر السياسي، إلى احتلال فلسطين التي أراد لها اليهود أن تكون كما يزعمون «دولتهم الوطنية» مع أنّنا جميعاً نعرف أنّ اليهود يبكون أرض الميعاد (فلسطين) منذ اليوم الأول؟!

إنّ أحابيل السياسة هي التي نسجت من وحي الأوهام والخيال شخصاً أُسطورياً غامضاً باسم عبدالله بن سبأ. ورسمت له عبر مخيلتها أيضاً دوراً مخطّطاً لإفساد الإسلام والإجهاز عليه، وذلك تحقيقاً لمآرب سياسية.

وما يجب أن نبحث فيه هو هوية اليد الآثمة التي اجترأت على اصطناع هذه الأُسطورة ووضعها؟

وجواب هذا السؤال لايمكن أن نعثر عليه في لجّة التعصّب الجاهلي الذي لاقيمة له في ميزان المنطق، وإنّما تكمن خلفية المسألة برمّتها في الاختلاف الذي نشأ حول الخلافة. فهذا الخلاف هو الذي أنشأ ابن سبأ. وهو الذي أفضى إلى تشكيل ـ الأُسطورة ـ السبئية، كي تتحوّل فيما بعد إلى ذريعة ينسب إليها كلّ مخالف للخطّ الرسمي، ويقضي عليها بحجّة أتباع ابن سبأ».

ويقول الدكتور طه حسين: «ثمّة شواهد كثيرة تؤيّد هذا الذي يذهب إليه الأستاذ عبدالله السبيتي، فقد رأينا فيما مرّ أنّ تهمة التعاون مع ابن سبأ تطال حتّى صحابة أجلّاء من عيون أصحاب رسول الله ﷺ كأبي ذرّ وعمّار بن ياسر».[١]

والذي يفهم ممّا كتبه د. طه حسين: أنّ تهمة اتبّاع ابن سبأ طالت حتّى مالك الأشتر.

ومن الشواهد الأخرى التي نسوقها في بيان أنّ هذه التهمة تحوّلت إلى ذريعة للوشاية بالخصوم لدى السلطان، والتسبّب في قتلهم، هي الرسالة التي كان قد بعث بها والي المصرين (البصرة والكوفة) زياد بن أبيه إلى معاوية حين قبض على حجر وأصحابه وشهد عليهم، ودفع بهم مع الكتاب إلى معاوية. ففي هذا الكتاب نقرأ قول

---

١. علي وبنوه: ١١٥.

زياد عن الصحابي حجر وأصحابه: إنّ طواغيت من هذه الترابية (نسبة إلى أبي تراب، وهي من كنىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) والسبئية رأسهم حجر بن عدي، خالفوا أميرالمؤمنين (يعني به: معاوية) وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم[١].

وعودة إلى المقدّمات التي يسوقها الشيخ السبيتي بين يدي بحثه، ويذكر فيها: «... أنّ الباحث الواقعي لايسعه حين يبحث الوقائع التي تحيط بقصة ابن سبأ، أن يقتنع بحقيقة وجود هذه الشخصية، وأنّ لها فعلاً وجوداً خارجياً، إذ من حقّه أن يسأل عن القدرة الهائلة التي نسبت إلى ابن سبأ. فمن أين أتىٰ بها؟

وكيف استطاع أن يشرع بحركته وهو تحت عين عثمان وولاته وعمّاله؟ وكيف قدّر له أن يهيمن على المجتمع الإسلامي؟!

ومن هو ابن سبأ، ومن يكون حتّى يصول ويجول في عرض العالم الإسلامي وطوله، وينشر دعوته من دون أن تسكته سيوف الأمويين، أو يناله أحد عمّال عثمان على الأقلّ بالنفي والتبعيد أو الاعتقال؟

ثم للباحث أن يتساءل عن أتباع عبدالله بن سبأ، فمن كان هؤلاء؟

إنّنا نعرف أنّه لم يكن يشايع علياً إلّا خواص أصحاب رسول الله ﷺ، والشيء الواقعي حينئذٍ ـ إذا كان لابن سبأ وجود حقيقي ـ أن يكون أتباعه هم من أهل السنّة أنفسهم.

ثم إذا كان ابن سبأ يتحلّىٰ بكلّ هذا النبوغ والقدرة السياسية، فأين كان عنه اليهود؟ لماذا لم يرد له ذكر أو اسم في تاريخهم؟ ثم إلى ماذا صار مآله، وكيف انتهىٰ مصيره، وماذا حلّ بأصحابه، وماذا كان مصيرهم؟

---

١. انظر كتاب حجر بن عدي، للعلّامة الكمرءاني، ٦٦ ـ ٦٧ ط ـ طهران، إيران.

هذه وغيرها، إثارات وأسئلة لايسع الباحث المحايد المنصف إلّا أن يثيرها، وأن يطلب الأجوبة الشافية لها». [١]

* * *

أمّا القسم الآخر من علماء الشيعة ومفكّريهم الذين أنكروا وجود عبدالله سبأ ولكن ألمحوا إلى ذلك على سبيل الإجمال والاختصار، ولم يفردوا له بحثاً ودراسة، فنذكر منهم:

١. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﴿ره﴾

قال في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» عن عبدالله بن سبأ مانصّه: «على أنّه ليس من البعيد رأي القائل: إنّ عبدالله بن سبأ ومجنون بني عامر وأبي هلال... وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال! كلّها أحاديث خرافة، وضعها القصّاصون وأرباب السمر والمجون» [٢].

٢. آية الله العظمى المحقّق السيد أبوالقاسم الخوئي ﴿ره﴾

قال في معجمه: «إنّ أُسطورة عبدالله بن سبأ، وقصص مشاغباته الهائلة، موضوعة مختلقة، اختلقها سيف بن عمر الوضّاع الكذّاب، ولا يسعنا المقام الإطالة في ذلك والتدليل عليه، وقد أغنانا العلّامة الجليل والباحث المحقّق السيد مرتضى العسكري فيما قدّم من دراسات عميقة ودقيقة عن هذه القصص الخرافية، وعن سيف وموضوعاته، في مجلّدين ضخمين طُبعا باسم «عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى». وفي كتابه الآخر «مائة وخمسون صحابي مختلق» [٣] ...». [٤]

---

١. إلى مشيخة الأزهر: ١١٥ – ١١٨ ط ـ بغداد، ١٣٧٥ هجري.

٢. أصل الشيعة وأصولها: ٥٧ ـ ٥٨، ط ٨ ـ القاهرة.

٣. والكتابين طُبعا ونُشرا عدّة مرات في كل من: النجف الأشرف وبيروت وطهران، والقاهرة.

٤. معجم رجال الحديث ١١: ٢٠٧، وانظر كتاب: عبدالله بن سبأ دراسة وتحليل للشيخ علي آل محسن ط ـ دارالهادي، بيروت ١٤٢٣هـ.

٣. العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ

قال أُستاذنا العلّامة في تفسيره «الميزان»: «و هذان اللذان روى (الطبري) عنهما الحديث، وعنهما يروي جلّ قصص عثمان ـ أعني شعيباً وسيفاً ـ هما من الكذّابين الوضّاعين المشهورين، ذكرهما علماء الرجال وقدحوا فيهما، والذي اختلقاه من حديث ابن السوداء وهو الذي سمّوه عبدالله بن سبأ، وإليهما ينتهي حديثه، من الأحاديث الموضوعة. وقد قطع المحقّقون من أصحاب البحث أخيراً أنّ ابن السوداء هذا من الموضوعات الخرافية التي لا أصل لها».[١]

٤. الدكتور كامل مصطفى الشيبي

وقد ذهب إلى أنّ عبدالله بن سبأ هو الصحابي الجليل عمّار بن ياسر، فهما رجل واحد لا اثنان، قال: «والسبئية على هذا الأساس فرقة قادها عمّار الذي أطلقت عليه قريش ذلك اللقب الرمزي، وأضافت إلى آرائه في علي مبالغات وأضاليل، لتضيف إلى أفكار عمّار ما يخرج بها عن المعقول، ويسلبها قوة الإقناع، ويقنّعها بقناع الشكّ والبطلان، فينصرف الناس عنه، وعن آرائه، وعن مبدئه في أحقّية علي وفضله على سائر المسلمين من معاصريه زمن عثمان».[٢]

---

١. الميزان في تفسير القرآن ٩: ٢٦٠.

٢. الصلة بين التصوّف والتشيّع ١: ٨٩، ط ـ القاهرة.

الفصل الرابع:

الشيعة والغلاة

الغلاة والغلوّ عند الشيعة

من أفظع جنايات التاريخ أن ينسب الشيعة والتشيّع إلى ابن سبأ، سواء أكان لهذا الرجل وجود حقيقي خارجي، أم كان مجرّد وهم وأسطورة خيال، كما أثبتنا ذلك.

ولنفترض الآن لابن سبأ هذا وجوداً موضوعياً حقيقياً في العالم الخارجي، وحينئذٍ نعلنها كلمةً صريحةً واضحةً أنّ الشيعة والتشيّع بريئان من أفكاره الفاسدة المنحرفة ـ كما أشرنا في فصل سابق ـ وأنّ ما ينسب أحياناً إلى الشيعة من عقائد غالية، فهو يختصّ بابن سبأ ـ الشخص الوهمي ـ وبأتباعه، ولا صلة له بتاتاً بالشيعة والتشيّع، لا من بعيد ولا من قريب.

يقول العلّامة آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في هذا المجال: «أمّا عبدالله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة أو يلصقونها به، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن لعنه والبراءة منه، وأخفّ كلمة تقولها كتب الشيعة في حقّه، ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في العين (أي في حرف العين) هكذا: عبدالله بن سبأ ألعن من أن يُذكر».[1]

والأمر كما ذكره الشيخ كاشف الغطاء، فعلماء الشيعة لعنوا ابن سبأ وتبرّأوا منه إن كان له وجود حقيقي... فالعلّامة الحلّي على سبيل المثال يقول فيه: «إنّ عبدالله بن سبأ غالٍ ملعون، حرّقه أمير المؤمنين بالنار».

---

١. أصل الشيعة وأصولها: ٥٧، ط ـ القاهرة، مصر.

كما قالوا فيه: «كان من عقائده القول بألوهية علي أو نبوّته، لعنه الله».[١]

علاوة على علماء الشيعة. فقد ذكر المؤلّفون ـ من محدّثين وأهل فرق ومقالات وتاريخ ـ أنّ الإمام علياً وشيعة الطبقة الأُولى ردّوا في عهدهم العقائد الغالية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حيث رأيناهم يذكرون أنّ علياً عليه السلام تبرّأ من الغلاة وحاربهم، وأنّه حرّق ابن سبأ أو نفاه.

وممّن أشار إلى هذا الموضوع هو البروفيسور «غويارد» في كتابه، حين قسّم المسلمين إلى فرق ومذاهب، وذكر أنّ الشيعة هم أتباع علي وأولاده ومريدوهم، ثم عرج إلى عبدالله بن سبأ، فقال: «كان في زمان علي شخص يُطلق عليه عبدالله بن سبأ، وهو يهودي في ابتداء أمره، ادّعى الأُلوهية لصهر النبي (علي بن أبي طالب) إلّا أنّ علياً وأولاده ـ تابعهم في ذلك خُلّص الشيعة ـ ردّوا عقيدة الغلوّ هذه في زمانهم».[٢]

وما نخلص إليه أنّه حتّى لو افترضنا وجوداً حقيقياً لعبدالله بن سبأ وللسبئية، فهم من فرق الغلاة، ولا صلة لهم بالشيعة، كما ذكر ذلك صاحب كتاب «الإسلام والرجعة» حينما عدّد فرق غُلاة الشيعة، فذكر السبئية في طليعتهم، وأشار إلى أنّ هؤلاء هم منشأ سائر فرق الغلاة الأخرى، وهم أصحاب عبدالله بن سبأ من أهل حمير، كما كتب[٣].

وممّن توفّر على ذكر الغلوّ والغلاة هو ابن خلدون في مقدّمته، حين وصف هؤلاء الغلاة بأنّهم يقولون بأُلوهية الأئمة ـ من ولد الإمام علي ـ وأنّ الإمام علياً حرّقهم بالنار، من دون أن يأتي على ذكر بطل القصة، الأُسطورة عبدالله بن سبأ.

---

١. تاريخ الشيعة، د. حسين علي محفوظ: ٣٩ ـ ٤٠، ط ـ بغداد، وكذلك جامع الرواة، للأردبيلي الغروي ١: ٤٨٥، وكذلك كتب أخرى عرضت لابن سبأ.

٢. سازمانهاى تمدّن امبراطورى اسلام، بروفيسور استانيلاس غويارد: ٣٨ ـ ٤٠، ط ـ طهران، ١٣٣٦هش.

٣. الإسلام والرجعة، عبدالوهاب فريد: ٦٣ بالفارسية، ط ـ طهران.

إذ كتب في الفصل الذي تحدّث فيه عن مذاهب الشيعة، ما نصّه: «و منهم طوائف يسمّون بالغلاة، تجاوزوا حدّ العقل والإيمان، في القول بألوهية هؤلاء الأئمة». ثم أضاف: «ولقد حرّق علي عليه السلام بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم».[١]

لقد ذكرت كتب الفرق والمقالات من قبيل: «الفرق بين الفرق»، و«الملل والنحل»، و«العقد الفريد» أنّ عبدالله بن سبأ كان من الغلاة، ونصّوا على أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حرّق بعض هؤلاء في النار، وأنّه أبعد بعضهم الآخر، وكان عبدالله بن سبأ بين المنفيّين.[٢]

وما يجب أن ننبّه عليه في هذا المقام: أنّ علماء الشيعة لم يقتصروا على رفض الغلاة، ولعنهم، والتبرّؤ منهم ـ لا فرق بين عبدالله بن سبأ على فرض وجوده وبين الآخرين ـ بل قالوا في جميع كتبهم الكلامية والفقهية بنجاسة هؤلاء، وخروجهم من الدين.

فها هو ذا الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) وهو من أكابر علماء الشيعة يقول في كتابه القيّم «تصحيح الاعتقاد» تحت عنوان: الغلو: «الغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والائمة من ذرّيته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوّة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ماتجاوزوا فيه الحدّ، وخرجوا عن القصد، وهم ضلّال كفّار، حكم فيهم أميرالمؤمنين عليه السلام بالقتل... وقضت الائمة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام».[٣]

---

١. مقدّمة ابن خلدون: ١٩٨.

٢. الفرق بين الفرق ١: ١٠، الملل والنحل ١: ١٧٤، العقد الفريد ٢: ٢٤٠، ويلاحظ: مع الشيعة الإمامية، للشيخ محمد جواد مغنية: ٤٠ ط ٢ ـ بيروت، عقيدة الشيعة الإمامية، السيد هاشم معروف: ٢١٦ ط ـ بيروت؛ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: ٨٥ ط ١ ـ بيروت، تاريخ الشيعة د. حسين علي محفوظ: ٣٩ ـ ٤٠ ط ـ بغداد.

٣. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٦٣ ط ـ تبريز، ١٣١٧هـ، وعن كفر الغلاة وارتدادهم يمكن مراجعة (مصباح الفقيه) كتاب الطهارة، للفقيه الهمداني: ٥٦٨؛ وكتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي: ١٩، ط ـ قم؛ ومستمسك العروة للسيد محسن الحكيم ١: ٣٢٥ ط ـ النجف، وجميع الكتب الشيعية الفقهية المعتبرة، ينظر على الأخصّ في بحث النجاسات.

* * *

وبعد ذلك، فإنّ عقائد الغلوّ والإفراط بحقّ الأئمة هو ممّا لا يختصّ بجهّال ينتسبون إلى الشيعة وحدهم، بل هو يشمل أهل السنّة أيضاً، إذ يظهر من هؤلاء من الغلوّ في كبار رجالهم ما لا يقلّ عن الغلوّ الذي يتداعىٰ به الجهّال ممّن ينتسب إلى الشيعة.

وفي هذا السياق نقل العلّامة الأميني في موسوعته القيّمة التاريخية «الغدير» مائة قصة من قصص الغلوّ عن أهل السنّة، نُسجت حول أشخاص من أمثال معاوية.[1] وقد اعتمد العلّامة الأميني في النقل على كتب ومصادر معتبرة من تأليف أخواننا من أهل السنّة.

والذي يراجع هذه النقولات يتبيّن له على نحو واضح أنّ مسألة الغلوّ هي ممّا لايختصّ بمن ينتسب إلى الشيعة وحدهم، بل يوجد في المذاهب الإسلامية الأخرى، وقد نأينا عن الدخول في التفاصيل رغبةً في الاختصار، وعدم التطرّق إلى أُمور خلافية لافائدة في نشرها، خاصةً ونحن من أصحاب الدعوة إلى الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

---

١. الغدير ١١: ١٠٣ ـ ١٩٢، ط ـ بيروت.

خاتمة

لعلّ من أكثر الجنايات فظاعةً، وأعظمها نكايةً، هي ما حلّ بساحة حقائق التاريخ الإسلامي من استحلال الكذب والافتراء، وإلصاق التُهم جزافاً وبمحض نسج الأوهام والخيالات، واعتماد الخرافات التي تنوء بها صفحات التاريخ كأُصول وحقائق، وذلك لأغراض دنيوية ومصالح شخصية، لايعود للأُمة بشيئ إلّا الفرقة والخلاف بين أبناء الدين الواحد، هذه الخلافات التي ضلّلت أجيالاً متعاقبة، وشغلت أبناء هذه الأمة في صراعات ونزاعات استنزفت طاقاتها مواردها وثرواتها، ممّا جعلها نهباً للطامعين والمستعمرين والمتسلّطين، الذين أورثوها الذلّ والهوان والتخلّف.

من هنا كان حريّاً بأ بناء هذه الأمة البررة الذين يحملون همومها، ويتطلّعون لغدها المشرق، أن يبادروا إلى رأب الصدع، ولمّ الشمل والتسامي فوق كلّ الخلافات الجزئية والثانوية التي لاتخلو منها أُمة من الأمم.

وأن يجدّوا في الابتعاد عن كلّ ما يثير النعرات والتناحرات، والبحث عن القواسم المشتركة والهموم الكبيرة، والتحلّي بالموضوعية تجاه كل مفردة من مفردات الخلاف، ومحاولة معالجتها في نطاقها العلمي والبحثي، وعدم جعلها سبّةً ومغمزاً تغمز بها هذه الطائفة أو تلك.

ومن تلك المفردات التي أريد لها أن تخرج عن سياقاتها العلمية هي مسألة

عبدالله بن سبأ والسبئية، والتي أُلصقت بالشيعة والتشيّع كما ظهر لك من خلال ما تقدّم بحثه في هذا الكتاب. والذي أثبتنا فيه ـ خلال آراء علماء الأمة الإسلامية ـ أنّ هذه الشخصية لايمكن أن تحمل المقوّمات التي تمكّنها من لعب الدور المزعوم الذي أريد لها. فكثير من علماء الشيعة المتقدّمين يعتبرونه ضالاً منحرفاً مغالياً، ويروون روايات عن أهل البيت في لعنه وتكفيره والبراءة منه، وطائفة آخرىٰ من علمائنا المحقّقين والباحثين أثبتوا بالبحث والتحقيق خرافيته وأُسطوريته، ويشاطرهم في هذا الرأي العديد من العلماء والباحثين من أخوانهم من أهل السنّة.

فعبدالله بن سبأ على فرض وجوده لايمت للشيعة بأدنىٰ صلة، لامن بعيد ولا من قريب. وبعد كلّ هذا لايسع للباحث المنصف، بل كلّ من فتح الله له نوافذ البصيرة وألقىٰ السمع وهو شهيد أن يصدّق بكلّ ما يقال وينقل عن هذه الأكذوبة التاريخية، ويجعلها مدعاةً للتفرقة، ومادةً جاهزةً للتنابز وسوقاً للتهم وإشغال المسلمين بها.

ومن هنا فالدعوة الموجّهة صادقة لأصحاب الضمائر الحية والعقول النيّرة، لترك التفكير بعقلية الماضي، واجترار مايقوله الآخرون، والعمل علىٰ التقارب والتآخي والوحدة بين أطياف هذه الأمة، ولمّ الشعث لمواجهة الأخطار المحدقة بعالمنا الإسلامي، وتفويت الفرصة على أعداء هذه الأمة.

وفيما يلي ثلاث مقالات هادفة أدرجناها كملاحق للكتاب، تبحث في هذا السياق، نراها جديرةً بالمطالعة ونهوضاً بالمطلوب:

ملحقات الكتاب

* السبئية
* خطوة على الطريق
* لا، يا إخواننا في الدين

الملحق الأول

السبئية

بقلم: الأستاذ حسن الأمين[1]

كانت السبئية تعني ـ قبل اختراع قصة عبدالله بن سبأ ـ الانتساب إلى قبائل اليمن، من سلالة سبأ بن يشجب.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر «سبأ»، قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾[3].

ولقّب بالسبئية عدد كبير من رواة الحديث في الصحاح الستّة. فقد عدّ السمعاني وابن ماكولا من رواة الحديث الذين اشتهروا بالسبئي؛ لانتسابهم إلى سبأ بن يشجب منهم: عبدالله بن هبيرة السبئي وأبو رشد بن حنش السبئي، وقد روىٰ عنهما مسلم في صحيحه، كما روى عنهما في سننهم كلٌّ من النسائي والترمذي وابن ماجة وأبي داود.

---

١. هو ابن العلّامة الكبير السيد محسن الأمين العاملي، صاحب موسوعة «أعيان الشيعة» القيّمة المطبوعة في عشرات المجلّدات. والأستاذ حسن الأمين هو مؤلّف «دائرة المعارف الإسلامية ـ الشيعية) الموسوعة العلمية والتاريخية الخالدة في عدّة مجلّدات، طُبعت في بيروت وترجمت إلى اللغة الانجليزية أيضاً. وله مؤلّفات أخرى في تاريخ علماء الشيعة وغيرها. وقد بعث الأستاذ هذا المقال إلينا لننشره في هذا الكتاب، فنشكره على ذلك، ونقوم بنشره من منطلق الواجب كملحق لهذا الكتاب.

٢. النمل: ٢٢.

٣. سبأ: ١٥.

ومنهم: أزهر بن عبدالله السبئي المتوفّى سنة ٢٥٠ هجرية، وأسد بن عبدالرحمان السبئي الأندلسي الذي كان حيّاً بعد سنة خمسين ومائة، وسليمان بن بكار السبئي، وجبلة بن زهير السبئي.

وهذه الأسماء التي ذكرناها إنّما ذكرناها كمثال لما قلنا، وإلّا فهناك الكثيرون غيرهم ممّن وردت أسماؤهم في شتّى الكتب وممّن ذكرهم السمعاني وابن ماكولا، ولقد لُقِّب كلٌّ منهم بالسبئي؛ لانتسابه إلى سبأ بن يشجب.

وكان فيهم من وجد في مصر، وفي الأندلس، وفي اليمن، وفي أقطار أخرى، واستمر ذلك إلى أواسط القرن الثالث الهجري.

ومن هنا نعلم أنّه لم يكن في ذهن أحد عندما يذكر لفظ «السبئي» إلّا الانتساب إلى اليمن، ولم يكن له أيّ مدلول آخر.

وبهذا المعنى أُطلق لفظ «السبئي» على مجموعة القبائل القحطانية اليمنية التي تكتّلت حول علي بن أبي طالب عليه السلام في معاركه الكبرى، والتي كان تشكّل جمهرة أنصاره بقيادة رؤسائها، أمثال: عمّار بن ياسر، ومالك الأشتر، وحجر بن عدي، وقيس بن سعد بن عبادة، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن حنيف، وعبدالله بن عديل، وعدي بن حاتم، وعمرو بن الحمق، وسليمان بن صرد، وغيرهم.

وجميع هؤلاء يمنيّون سبئيّون بالنسب، على أنّ الأمر تطوّر في عهد زياد بن أبيه الذي اتّخذ من هذه النسبة وسيلةً للهمز بالألقاب، ويبدو أنّه حار فيما يطلق عليهم، إذ ليس في أيّ لقبٍ من الألقاب إلّا ما يشرّفهم، لذلك اختار لهم لقب «السبئيون» ليعود بهم إلى الأصل الجاهلي البعيد.

وعدا القبائل اليمنية، فقد كان جمهور «ربيعة» مع علي عليه السلام أيضاً، وكانوا من المتفانين في تأييده، وعقد بينهم وبين اليمنيّين عهد جاء فيه ما يلي:

«هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن، حاضرها وباديها،» وربيعة حاضرها وباديها.

ومن هنا كان لقب «السبئية» يلحق أيضاً «الربيعيين» خلفاء اليمانيّين، وظلّت

هذه التسمية (السبئية) تطلق نبزاً على أنصار علي، والمتمسّكين بولائه، ولا تعني شيئاً غير هذا، حتّى أنّ زياد بن أبيه، عندما هيّأ الأسباب لمجزرة «حجر بن عدي» وأصحابه الأبطال، ومن ثم أرسلهم لمعاوية فقتلهم، لم ينسب إليهم شيئاً سوى قوله: أنّ طواغيت من هذه الترابية السبئية!! ثم يقول: اعلنوا أنّ الخلافة لآل أبي طالب وأظهر عذر أبي تراب وترحّم عليه.

والمقصود بأبي تراب هو علي بن أبي طالب، إذاً فإنّ كلّ جريمة (السبئية الترابية) هي (الزعم بأنّ الخلافة لآل أبي طالب) و(الترحّم على علي). ولا شيء غير هذا!!

وتظلّ لفظة «السبئية» من جديد في أوائل القرن الثاني الهجري، لنفس العوامل والأسباب، ولا يُقصد بها حين تُطلق ألّا أنّها القول بنصر علي عليه السلام وبني علي.

فحينما حاول أبو سلمة الخلّال تحويل الخلافة من العباسيّين إلى الطالبيّين قبل أظهار بيعة السفّاح، فقام أن خطب السفّاح بعد أن بويع، وقال فيما قال: وزعمت السبئية الضلّال أنّ غيرنا أحقّ بالرئاسة والخلافة».

إذن فكلّ ما استطاع السفّاح العباسي نسبته إلى السبئيين هو أنّهم يرون غير العباسيّين أولىٰ بالخلافة، وهذا ضلال عند السفّاح. فهو كزياد ابن أبيه، كان يودّ لو وجد لهم ذنباً آخر، أو لو عرف بهم انحرافاً عن الإسلام وقواعده لشهّر بهم وكشفهم.

هكذا كان مدلول لفظ «السبئية» حتى أوائل القرن الثاني الهجري، إلى أن نشأ رجل في أواسط هذا القرن اسمه «سيف بن عمر التميمي»، فإذا بالسبئية تأخذ علىٰ لسانه معنىً جديداً، وتتحوّل من النسبة إلى «سبأ بن يشجب» إلى إنسان يخترعه ويسمّيه «عبدالله بن سبأ» بل وإلى اتّهامٍ في العقيدة الإسلامية.

فمن هو ابن سبأ، ومن هم السبئيون؟

وماهي دعاواه؟

وما هي أعماله فيما يروي سيف بن عمر التميمي؟

وملخّص ما زعموا أنّ يهودياً من صنعاء اليمن أظهر الإسلام في عصر عثمان، واندسّ بين المسلمين، وأخذ يتنقّل في حواضرهم: الشام والكوفة والبصرة ومصر، مبشّراً بأنّ للنبي محمد ﷺ رجعة كما أنّ لعيسى ابن مريم رجعة، وأنّ علياً خاتم الأوصياء كما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء، إلى غير ذلك من العقائد، وأنّ عثمان غاصب، فيجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلى أهله.

وسمّوا بطل قصتهم «عبدالله بن سبأ» ولقّبوه بابن السوداء، وزعموا أنّه بثّ في البلاد الإسلامية دعاته، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعن في الأُمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي والتابعي الصالح.

وزعموا أيضاً: أنّ السبئيين أينما كانوا أخذوا يثيرون الناس على ولاتهم ـ تنفيذاً لخطّة زعيمهم ـ ويضعون كتباً في عيوب الأُمراء ويرسلونها إلى الأمصار، فنتج عن ذلك قيام جماعات من المسلمين بتحريض السبئيين، وقدومهم إلى المدينة، وحصرهم عثمان في داره حتّى قُتل فيها، وأنّ كلّ ذلك كان بقيادة السبئيين ومباشرتهم!

وزعموا أيضاً: أنّ المسلمين بعد أن بايعوا علياً، وخرج طلحة والزبير إلى البصرة لحرب الجمل، رأى السبئيون أنّ رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنّه إن تمّ ذلك سيؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً وقرّروا أن يندسّوا بين الجيشين، ويثيروا الحرب بكرةً دون علم غيرهم! وأنّهم استطاعوا أن ينفّذوا هذا القرار الخطير في غسق الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقابلان، فناوش المندسّون من السبئيون في جيش علي عليه السلام من كان بإزائهم من جيش البصرة، والمندسّون منهم في جيش البصرة من كان بإزائهم من جيش علي عليه السلام، ففزع الجيشان، وفزع رؤساؤهما، وظنّ كلٌّ بخصمه، وزعموا أنّ حرب البصرة المشهورة بحرب الجمل وقعت هكذا، دون أن يكون لرؤساء الجيشين فيها رأي أو علم.

إلى هنا ينتهي هذا القاصّ، من نقل قصة السبئيين، ولا يذكر بعد ذلك عن مصيرهم شيئاً!!

فما هي حقيقة عبدالله بن سبأ؟ وهل وجد حقّاً.

وهل كان له من الأثر ماكان؟

وهل استطاع فعلاً هذا اليهودي القديم أن يؤثّر هذا الأثر؟

الواقع التاريخي بعيد كلّ البُعد عمّا ألفه بعض الناس من أقوال في الموضوع، فإنّ الذين اخترعوا عبدالله بن سبأ ونسبوه إلى اليهود، اخترعوا إلى جانبه دعوةً، ثم اخترعوا جماعةً تأخذ بتلك الدعوة وسمّوهم «السبئية».

ويكفيك أن يكون بطل الأُسطورة المخطّط لها هو سيف بن عمر التميمي الذي أجمع رواة الحديث وعلماء الرجال على تكذيبه.

ورواة الحديث وعلماء الرجال يتشدّدون في صحّة الرواية، لذلك كشفوا سيف بن عمر، وأبانوا وضعه الحديث، وافتراءه على الشريعة وصاحبها، ودعوا إلى عدم الأخذ بما يرويه، على العكس من رواة التاريخ الذين يرون أنّهم ما دامت رواياتهم ليست مصدراً للتشريع، ولاتمسّ الدين، فهم في حلٍّ من الأخذ بكلّ ما يمرّ في طريقهم من أقاصيص، وهكذا استحّل الطبري المؤرّخ أنّ ينقل عن سيف بن عمر هذا.

وجميع الذين ذكروا قصة عبدالله بن سبأ كان مصدرهم الوحيد (الطبري) المستند إلى رواية سيف بن عمر، وليست هذه القصة وحدها التي يستند فيها الطبري إلى سيف بن عمر، بل غيرها كثيرات من وقائع التاريخ لم يكن من سند لها إلّا سيف بن عمر.

وكي نعرف مقدار تورّط الطبري فيما أسنده إلى سيف، ومقدار ما ضلّل به الأجيال، علينا أن نسمع رأي المحدّثين وعلماء الرجال.

فقد قالوا وهم يصفون «سيف»: يروي عن خلق كثير من المجهولين، ضعيف

الحديث، ليس بشيء، متروك، يضع الحديث وهو في الرواية ساقط، يروي الموضوعات عن الثقات، عامة أحاديثه منكرة، متّهم بالوضع والزندقة...

ولكي تتأكّد لك صحّة ما قلناه، يمكنك أن تراجع كتب الرجاليين السنّة الذين ترجموا له[١] نقلاً عن جماعةٍ من علماء الرجال: كابن معين، وأبي حاتم، وأبي داود، والنسائي، والدارقطني، وابن عدي، وابن حبّان، وعباس بن يحيىٰ... وغيرهم.

فأمّا في كتاب (الإصابة) و(الاستيعاب) فجاء في ترجمة القعقاع بن عمر: «وقال فيما رواه سيف بن عمر، عن عمرو بن تمام، عن أبيه عنه. وسيف متروك. وإنّما ذكرناه للمعرفة».

وفي (الإصابة) في موضع آخر منه قال: «سيف بن عمر ضعيف»[٢].

وأمّا جلال الدين السيوطي فنقل عنه حديثاً واحداً في كتابه «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ثم قال معقّباً عليه: «موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف»[٣].

فهذا الموصوف بهذه الصفات عند علماء الرجال والمحدّثين: سيف بن عمر، هو الذي روىٰ قصة عبدالله بن سبأ، واخترع مااخترع حولها من أساطير.

وأنّ المحدّثين وعلماء الرجال كانوا يدركون حقيقة «سيف» هذا، لذلك كشفوه ووصفوه بالكذب، ودعوا إلى عدم الأخذ بما يروي ويخترع.

ولكن ما حذّر المحدّثون وعلماء الرجال الناس من الوقوع فيه، وقع فيه المؤرّخون، أو بالأحرى وقع فيه «الطبري» وعنه انتشرت أساطير سيف[٤].

---

١. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٢٠٠، تهذيب التهذيب لابن حجر ٣: ٥٨٣، الفهرست لابن النديم: ١٠٦ الفن الثاني من المقالة الثانية وغيرها من الكتب التي ترجمت لهذه الشخصية، مثل: الضعفاء الكبير للعقيلي ٢: ١٧٥؛ كتاب المجروحين لابن حبان ١: ٣٤٠، كتاب الضعفاء لأبي نعيم الاصبهاني: ٩١، التأمل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٣: ٤٣٥.

٢. راجع الاصابة في تمييز الصحابة ٥: ٣٤٣؛ الاستيعاب ٣: ١٢٨٤.

٣. اللآلئ المصنوعة ١: ١٥٧، ١٩٩، ٤٢٩.

٤. انظر تاريخ الطبري ٣: ٣٧٨.

والواقع أنّ سيفاً كان من أخطر الرجال، يعرف كيف يأتي الإنسان من خلفه ومن بين يديه، ليتلاعب بفكره كيف شاء، وليدسّ عليه ما يريد دسّاً محكماً رهيباً.

ولكن ماذا كان يريد سيف بن عمر هذا؟ ولماذا شغل نفسه وشغل الناس بكلّ تلك الأساطير، ومن بينها أُسطورة عبدالله بن سبأ؟

كان سيف يحمل في أعماقه ضغناً على شيئين اثنين: الإسلام، والقبائل القحطانية.

فقد كان هاجسه الوحيد هو تشويه الإسلام، والنيل من القبائل القحطانية اليمانية التي انضمّت إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

أراد أن يصوّر الإسلام بالصورة الدموية، وأن يجعل قادته سفّاحين سفّاكين، مستخفّين بالدم، لا يبالون بأن يريقوا دماء عشرات الأُلوف بأمرٍ يصدرونه. كما أراد إبراز الإسلام ديناً خرافياً، يؤمن أتباعه بالسخافات، ويعتقدون بالخرافات!

وبعد ذلك أراد أن يشوّه عقائد من يراهم أعداءه من القحطانيّين، وأن يزيّف اتجاهاتهم التي ارتضوها، ومواقفهم التي اعتنقوها، فاخترع لهم: عبدالله سبأ.

أمّا طريقته التي سلكها إلى هدفه الأكبر فكانت على الشكل الآتي:

كان يختلق الأحداث الفاجعة، ثم يمّوهها بجملٍ برّاقةٍ تمدح القوّاد مدحاً مغرياً، ويطلق ذلك كلّه دفعةً واحدةً، فيبهر المدح عقول الناقلين بهراً، يجعلهم في غفلةٍ عمّا أراد بهم وبالإسلام، فيأخذون روايات سيف بالجملة.

نروي هنا مثالاً واحداً من عشرات الأمثلة، هو ما رواه سيف عن خالد بن الوليد في إحدى معاركه في العراق.

قال سيف: «وقال خالد: اللّهم إنّ لك عليَّ إن منحتنا أكتافهم، ألّا استبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتّى أجري نهرهم بدمائهم!

ثم إنّ الله نصرهم، فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر، لاتقتلوا إلّا من امتنع، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً، وقد وكلّ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في

النهر، ففعل ذلك يوماً وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد!!».

وحسب رواية سيف ظلّت المذبحة مستمرّة بقصد أن يجري نهر من الدم، لتبرّ يمين خالد، لكن دماء عشرات الألوف لم يكن في وسعها أن تبرّ تلك اليمين، لذلك قال له القعقاع وغيره كما يروي سيف:

«لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فإنّ الدم ـ بعد قتل هابيل بن آدم ـ قد نهي عن السيلان إلّا مقدار برده، فأرسل عليه الماء تبرّ يمينك. وكان قد صدّ الماء عن النهر، فأعادوه، فجرىٰ دماً عبيطاً، فسمّي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم، وبلغ قتلاهم من أليس[1] سبعين ألفاً!!».

هذه رواية واحدة من روايات سيف بن عمر، التي نقلها عنه الطبري مع ما نقل من قصص عبدالله بن سبأ، ومن ثم عن الطبري أخذها «ابن الأثير» و«ابن خلدون».

ثم أعقب سيف هذه الرواية بروايةٍ تشير إلى أنّ خالداً بعد أن انتصر في مدينة «امغشيا» أمر بهدم المدينة وكلّ شيءٍ في حيزها!

وعجبي أنّ هذه الفظائع التي تعتبر فظائع جنكيز خان وهولاكو أمامها يسيرة قد قبلها الطبري ومن أتىٰ بعد الطبري حتى هذا الزمن، قبلوها وسيظلّون يقبلونها لأنّ سيف بن عمر هذا قد عرف كيف يدغدغ عواطفهم بإضفائه الثناء على شخص خالد بن الوليد بعدما زيّن مفترياته بإطار من ينشر مناقب الصحابة وفضائلهم!

كما نقلوا على لسان أبي بكر أنّه قال بعد مجزرة «أُليس» التي ذُبح فيها بزعمهم سبعون ألف رجل، وبعد تهديم مدينة «أمغشيا»: يا معشر قريش، غدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد؟!

وبهذا يكون أبو بكر الصديق ﷺ شريكاً في مجزرة «أُليس» وتخريب المدينة العامرة «أمغشيا» بحسب رواية سيف بن عمر التميمي!!

هذا مثال عن محاولات سيف في إلباس الإسلام الثوب الدموي الرهيب،

---

١. اسم مكان.

وتصويره للمسلمين على أنّهم ناشرين للخراب والدمار والموت حيث يحلّون.

وأمّا عن إظهار الإسلام مظهر الدين الخرافي، فإليك نموذجاً منه، كما يرويه الطبري عنه:

«نزل القائد أبو سبرة ـ خلال الفتوح ـ على مدينة «سوس» وأحاط بها المسلمون... إلى أن يقول سيف: فأشرف الرهبان والقسّيسون فقالوا: يا معشر العرب، إنّ ممّا عهد إلينا علماؤنا أنّه لايفتح السوس إلّا الدجّال أو يقوم فيهم الدجّال، فإن كان الدجّال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا بحصارنا. فتقدّم رجل اسمه «صاف بن صياد» وكان مع المسلمين ومشتبهاً به أنّه الدجّال، تقدّم إلى باب مدينة السوس ودقّه برجله وقال: (انفتح) فتقطّعت السلاسل، وتكسّرت الأغلال، وتفتّحت الأبواب!

كما ويروي الطبري عن سيف، في فتح «حمص» ما خلاصته: أنّ سبب الفتح هو أنّ المسلمين كبّروا أول مرّةٍ فزلزلت المدينة وتصدّعت حيطانها، ثم كبّروا ثانيةً فتهافتت دور كثيرة وحيطان، فرأىٰ من في المدينة أن يستسلموا!

ويروي الطبري أيضاً عن سيف: أنّ الأسود العنسي مدّعي النبوّة، كان له شيطان يوحي إليه ويخبره بالغيب، وذكر أُموراً عجيبةً عمّا أوحاه إليه شيطانه!

هذا الراوي الذي يروي كلّ هذا، وما هو فوق هذا، وأضعاف هذا، هو نفسه قد روىٰ قصة عبدالله بن سبأ.

فإن كان صادقاً في هذا الذي ذكرنا بعضه هنا، فلنا أن نجعله صادقاً في حديثه عن عبدالله بن سبأ والسبئية، وإن كان كاذباً فهو كاذب في كلا الحالين وجميع الأمرين، لأنّ الحقيقة لا تتجزّأ.

حسن الأمين

بيروت

الملحق الثاني

خطوة على الطريق

بقلم: المؤلّف

إنّ هنالك الكثير من الشواهد والوثائق التي تؤكّد أنّ الوجود الشيعي قديم، قدم الدعوة الإسلامية، فهو يواكب بعثة الرسول ﷺ من بدايتها... هذا ما تؤكّده النصوص[1] الواردة على لسان النبي ﷺ، والتي تكتظّ بها كتب السنن، والمتعلّقة بالإمام علي وآل البيت عليهم السلام. هذه النصوص جعلت للإمام ولآل البيت خصوصية فريدة من جانبٍ، ومن جانب آخر دفعت الكثير من الصحابة إلى التشيّع لهم، والالتفاف حولهم، والاستظلال بظلّهم.[2]

---

١. من هذه النصوص حديث: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل البيت، أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي». انظر صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل علي بن أبي طالب.

وحديث: «عهد إليّ النبي الأمي: أذهب يا علي لايحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق». انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: حب الأنصار.

وحديث جابر بن عبدالله: «كنا نعرف المنافق على عهد الرسول ﷺ بأمرين: ببغض علي، وترك صلاة الجمعة» انظر مسند أحمد.

وغير هذه النصوص كثيرة، يمكن مراجعتها في كتاب خصائص الإمام علي للنسائي الذي نشرناه أخيراً في القاهرة، والكتب الأخرى المتعلّقة بآل البيت.

٢. منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، والمقداد بن ←

وتميّز الإمام علي عليه السلام بقدرته العلمية والجهادية من بين صحابة الرسول صلى الله عليه وآله هو ما يؤكّد استمرار تشيّع الصحابة له في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وبعد وفاته. وتولّد من جيل الصحابة جيل آخر من التابعين للإمام وآل البيت عليهم السلام.

وشهد التاريخ على أنّ الشيعة من صدر الإسلام لم ينقطعوا أبداً ـ ولا برهة ـ عن صفّ الأكثرية (الصف الإسلامي العام) في ممارسة النشاط الاجتماعي، بل مضوا بجدٍّ ومثابرةٍ إلى كلّ ما يخدم تقدّم المسيرة الإسلامية بفاعلية، وكان لهم حضورهم في حروب الفتوحات، وشاركوا في الثورات على الأنظمة الطاغوتية في عصورهم، وبذلوا في هذا السبيل الأرواح والأموال، ولم يتوانوا عن شيءٍ من التضحيات.

ولم يكن قد ظهر في مجتمعات ذلك الزمان التناقض بين الباطن والظاهر، والازدواجية بين الفكر والعمل، بالشكل الذي يتجلّى فيه اليوم، ونراه رأي العين في مجتمعاتنا ـ وذلك إثر جهل بعضهم ممّن يؤثر التضحية بالمبدأ لحساب المصالح الشخصية ـ وبالتالي لم يأخذ أتباع الائمة وأولياؤهم المخلصون التشيّع مغنماً ووسيلةً للارتزاق بحيث يدفعهم ذلك للتخلّف عن تعاليم الإمام!

فحينما يدعو الإمام جعفرالصادق عليه السلام الشيعة إلى الاندماج مع بقية المسلمين، والمساهمة في النشاط العام، وعدم التخلّف عن المسار الكلّي الذي ينتظم فيه المسلمون، لايكون التخلّف عن ذلك، والتعلّل بالأهواء والفهم المنحرف، سوى

← عمرو بن ثعلبة بن مالك النهراني الحضرمي، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وفاكهة بن ثعلبة الأنصاري، والخبّاب الخزاعي، وأبو سعيد الخدري، وابن النيهان أبو الهيثم بن مالك بن عتيك الأنصاري الأوسي، وقيس بن سعد بن عبادة، وأنس بن الحرب بن نبيه، وأبو أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبدالله بن عمرو بن كعب بن غنم بن أسلمة الأنصاري، وهاشم بن أبي وقّاص، ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، ومالك بن الحرث النخعي، ومالك بن نويرة، والبراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم الأوسي الأنصاري، وأُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم بن فهر بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، وعبدالله بن غافل بن حبيب الهذلي، وظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، وخالد بن سعيد بن أبي عامر بن أُمية بن عبد شمس، وأسد بن ثعلبة الأنصاري، وسويد بن عيسى بن أسماء بن وهب، وغيرهم كثير.

مخالفة حكم الله ورسوله.

جاء في الأثر: أنّ أحدهم سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام بما نصّه: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، خلطائنا من الناس، ممّن ليسوا على أمرنا؟

قال عليه السلام: «تنظرون إلى ائمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم...».[1]

هناك إذاً فرق بين الشيعة بمعنى أتباع الإمام، وبين الشيعة المحترفين الذين تشيّعوا للتكسّب!

الشيعي الحقيقي لايضحّي أبداً بالمبدأ لحساب مصلحته الخاصة، ولا يركب الوسيلة غير المشروعة لبلوغ ما يريد بعد أن يسبغ عليها لوناً من الشرعية!

والشيعي المخلص هو الذي يحافظ أبداً على أُصول ثقافته، وهو الذي يعكس بسلوكه الذكر الحسن لائمّته، ويجعل القلوب تنبض بهذه الذكرى وتحافظ عليها حيّة معطاءة.

وهو الذي يسعى لكي يبقى عَلَم التشيّع يهتزّ عالياً خفّاقاً حتّى ظهور الإمام المهدي الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً[2].

أجل، إنّ الشيعي الذي يوالي ائمة أهل البيت عليهم السلام حقّاً، لايضحّي بالحقيقة، وإذا قدّر له أن يسبح ضدّ التيار، فهو يفعل ذلك دون أن يخشى الغرق، إذ لا شرف أسمى من الموت في طريق نهج الإمام علي عليه السلام ومدرسته.

وشيعي مثل هذا، لايسمح لنفسه أبداً أن يهوي أخلاقياً إلى منحدرٍ سحيقٍ، فيلجأ إلى لغة الشتيمة، ويحتمي بالافتراء والكلمات الفاحشة، ويرمي بها من لا يتّبع

---

١. الكافي ٢: ٦٣٦ من كتاب العشرة ح.

٢. انظر: عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر، للشيخ عبدالمحسن العباد، مساعد رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، مطابع الرشيد ـ المدينة، سنة ١٤٠٢هـ. وقد ترجمنا الكتاب إلى اللغة الفارسية، ونشر مع رسالةٍ أخرىٰ تحت عنوان: «المصلح العالمي» عن مؤسسة «اطلاعات» في طهران.

نهج علي ﷺ ويسير على دربه. ويرفع أيضاً حراب التشهير والتسقيط دون مروءة ضدّ الذين يستمدّون في عصرنا هذا من أبي ذرّ نهجه وصدقه. فيستبقون غيرهم من الناس في تشخيص الأمور وإدراكها. حتّى لتكون هذه الحرب التي يواجه بها هؤلاء المستمدّون من علي وأبي ذرّ نهجهما. أشدّ ممّا تكون في حدّتها وقسوتها وبشاعتها على النواصب والخوارج!

هذه واقعة صفّين أمامنا. وهذا أمير المؤمنين ﷺ يرىٰ أهل الشام يبادرونه بالشتم والسباب. فما يكون منه سلام‌الله عليه إلّا أن يمنع أصحابه من التعرّض لهم بالمثل. إذ يقول:

«إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين. ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم. وذكرتم حالهم كان أصوب في القول. وأبلغ في العذر. وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم. وأصلح ذات بيننا وبينهم. وأهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله. ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به»[١].

ثم لنا أن نجدد السؤال. ونقول: ما العمل؟ وما هي الوظيفة التي يجب أن ينهض بها المشايعون الصادقون لعلي ﷺ وآل علي ﷺ في عصرٍ لايملك فيه الأعداء ـ أو المخالفون الجهلة ـ إلّا لغة الشتيمة والسباب. يسوّدون بها صفحات كتبهم. وهم يملؤون الجوّ ضجيجاً. ويسوقون ضروب التهم الواهية إلى الشيعة. من قبيل نسبتهم إلى الإسرائيليات. وإلى أسطورة ابن سبأ؟!

لا ريب أنّ الشتيمة والسباب لايليقان لغة بمقام هذه الفئة التي أراد لها إمامها ومولاها أن تنزّه أفواهها عن هذا المنحدر الهابط. كما أراد لها الإمام الصادق ﷺ أن يكون من شأنها أنّها تعكس في أعمالها وسلوكها القدوة المثلىٰ. حتّى تشهد الدنيا

---

١. نهج البلاغة للإمام علي. شرح الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية: ص ٣٢٣. طبعة القاهرة. وأخيراً ـ سنة ١٤٢٥ هـ ـ قد قامت مكتبة الشروق الدولية بنشر هذا الشرح مع مقدّمة خاصة بقلمي وإشرافي العام على نشره. من القاهرة. إرض الكنانة.

أيّ أُناس هم أُولئك الذين تربّوا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديث آخر يوصي به شيعته بعد أن يقرئهم السلام: «صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسّرني ذلك، ويدخل عليَّ منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك، دخل عليَّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر».[١]

ولكن يُطرح بإزاء هذا النهج السؤال التالي: في ظلّ هذا النهج الذي يطفح بالسلام والإنسانية، ما هو واجبنا؟ وكيف ينبغي لنا أن نتصرّف إزاء أشخاص من نوع: إبراهيم الجبهان، وإبراهيم علي شعوط، وإحسان إلهي ظهير، والدكتور عبدالله الغريب، ومحبّ الدين الخطيب، وعبدالمنعم البري، ومن هو على شاكلتهم؟

لاريب أنّ وجود هؤلاء وأمثالهم في الماضي والحاضر آراءهم المنشورة في كتبهم، هي الباعث الذي جعل بعض عوام أهل السنّة ينسبون إلى الشيعة أبشع الصفات وأفظعها ممّا يخرج بهم عن صفة الإنسانية[٢]، في حين ذهبت مجموعة أُخرى منهم لرمي الشيعة بالشرك أو الغلوّ، حتّى راح الشقّ يتّسع في المجتمع الإسلامي الشيعي ـ السنّي، وتزداد الفاصلة بين الاثنين أكثر فأكثر، بحيث باتت تواجهنا أحياناً أسئلة من قبيل: وهل قرآن الشيعة هو مثل قرآن السنة؟ هل الشيعة يسبّون أصحاب الرسول؟

وفي النتيجة آلى الأمر إلى أن يستغلّ الاستعمار وأياديه هذه الفرقة، ويسعّر نارها أكثر فأكثر كي تكون له السيطرة دائماً.

أجل ليس ثمة من يشكّ بوجود مثل هذه الأوضاع. بيد أنّ السؤال الذي يبقى

---

١. الكافي ٢: ٦٠٠ من كتاب العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة ح.

٢. راجع مقدمة: أصل الشيعة وأصولها. طبعة القاهرة. للمرحوم كاشف الغطاء، لملاحظة بعض ما يقال عن الشيعة ويُنسب إليها.

يفرض نفسه، هو: ماالعمل؟

الذي نعتقد نحن: أنّه بدلاً من أن نسلك نهج الردّ بالمثل، علينا أن نفكّر بعملٍ جذريٍّ أساسي، يتيح لنا فرصة نشر تاريخ الشيعة وعقائدها، وبيانها بلغات مختلفة وعلى مستوى عالمي، وذلك بالاعتماد على رؤية علمية كاملة للتشيّع، نتوسّل بالبحث العلمي والتاريخي الذي يعكس التشيّع على حقيقته وكما هو، لا كما هو عليه عند بعض العوام، وكما يفهمه الجهلة أو بعض العملاء من المستشرقين!

نحن نعتقد أنّ هذا الأُسلوب يمكّننا إلى حدٍّ بعيدٍ من وضع حدٍّ للسفسطة المغرضة التي تهدف إلى دقّ إسفين الفرقة بين الصف الإسلامي الذي يعتقد بأُصول واحدة.

حقّاً، لماذا يلجأ الإنسان إلى لغة الشتيمة والسباب إذا كان يعتقد بصحّة منطقه، ويؤمن بأحقّية مايقول؟

ولماذا يتوسّل بممارسة صبيانية تافهة لاتليق بمقام الإنسان الشيعي، ليعطي بذلك الذريعة إلى أعدائه، فيقلبون الحقائق، وينسبون الشيعة جميعهم إلى عبدالله بن سبأ الشخصية اليهودية الموهومة؟[١]

لانشكّ في أنّ مشاركتنا في الملتقيات الإسلامية، والمبادرة إلى تشكيل المؤتمرات على مستوى كبار علماء المذاهب الإسلامية، وإصدار الكتب النافعة والمجلّات المفيدة وبلغات مختلفة، يساعدنا على بلوغ الهدف الذي ننشده بشكل أفضل، في حين تلعب الجهود المبذولة في طريق تنشيط فاعلية دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، دوراً مؤثّراً في هذا المضمار.

وعلى هذا الصعيد تعدّ عملية تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في

---

١. انظر الدراسة المعمّقة للعلّامة السيد مرتضى العسكري في كتابه «عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى»، طبعة بغداد وبيروت والقاهرة، وكتابه الأخير: «الأُسطورة السبئية» الجزء الأول، طبعة قم ـ إيران.

الأربعينيات التي بادر إليها في القاهرة أحد علماء ومفكّري الشيعة الكبار: الشيخ محمد تقي القمي، بمساعدة كبار مشايخ الأزهر الشريف، واحدة من أبرز المشاريع الأساسية التي يمكن أن يكون لها دور مهم في التعريف بالشيعة على مستوى عالمي، وخصوصاً أنّ ما يساعد في ذلك هو أنّ هذه الدار أُنشئت إلى جوار الأزهر، المؤسسة الأساسية الإسلامية في العالم.

لقد كنّا منذ خمسين سنة تقريباً، وحتّى قبل أن تصدر الفتوى التاريخية للشيخ محمود شلتوت في جواز التعبّد بالمذهب الشيعي، ثابتين علىٰ نهجنا هذا في الدفاع المنطقي المتين عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، ولا زلنا نتمسّك بهذه الدعوة، تشهد علىٰ ذلك أعمالنا في مختلف المطبوعات والنشرات الدينية التي أصدرناها أو ساهمنا بها وقتئذٍ في الحوزة العلمية الدينية بقم ـ إيران[1].

بديهي أنّ التقريب بنظرنا يعني المعرفة الصحيحة لأُصول التشيع، وللعقائد الواقعية لأهل السنّة، ولا يعني الميل إلى مذهب آخر. بعبارة أوضح: لا يعني التقريب والحرص على الوحدة والأخوة الإسلامية هو التخلّي عن عقائدنا، كلا وأبداً، فمثل هذا الفهم هو ضرب من السفسطة والمغالطة، وإنّما يعني التقريب: الثبات علىٰ عقائدنا والحفاظ عليها، والسعي من أجل بيانها والدعوة إليها وبأُسلوب صحيح، بعيداً عن استفزاز العواطف، وإثارة ردود الفعل السلبية، وخاصّةً أنّنا جميعاً متّفقون في أُصول العقائد.

فإذا كان الباحث سليماً من الضعف والعجز العلمي، ملتزماً بما وجّهه البحث نحو المعرفة المنطقية، ولا يختار أبداً، ولا يسعىٰ وراء الشذوذ، أو يتشبّث بالإسرائيليات التي تطفح بها كتب المذهب الذي يختلف معه، وخصوصاً أنّ مثل هذه الإسرائيليات

---

١. من قبيل صحف ومجلّات أسبوعية أو شهرية، منها: نداء حقّ، نور دانش، مسلمين، مكتب اسلام، مكتب تشيّع، وظيفه، آستان قدس ومعارف جعفري (بالفارسية)، ومجلّة الهادي (بالعربية) والتي كانت تصدر من قم، الحوزة العلمية، وتحت إشرافي، ودام نشرها سبع سنوات.

يمكن العثور عليها في كلّ مذهب من المذاهب الإسلامية، وإنّما يختار أن يعود إلى كتب الفريق الذي يختلف معه، ويتوفّر على دراسة المسائل المعنيّ بها، برؤية علمية تحليلية كاملة، لتسوقه إلى الحكم الصحيح.

هذا هو المفهوم الواقعي للتقريب، بيد أنّ الذي يؤسف له حقّاً هو أنّ البعض يستند إلى أُسلوب إثارة العوام من الناس وتحريضهم، كما حصل في زمان المرحوم آية الله السيد محمد حسين البروجردي (المرجع الديني الأعلى في إيران) حيث راح هذا البعض يصف مراسلات المرحوم البروجردي مع الشيخ محمود شلتوت علىٰ أنّها ضرب من التراجع!! دون أن ينتبه إلى أنّ هذه المراسلات والتعارف هي التي أثمرت في نهاية المطاف الفتوى التاريخية لشيخ الأزهر حول جواز التعبّد بمذهب الشيعة.

لقد حاول المتلبّسون بروح التحريض من السطحيّين الذين يفتقرون للاستقلال الفكري أن يصوّروا المدافعين عن التقريب بالنهج المنطقي: أنّهم يعكسون ضرباً من التسنّن في مركز التشيّع!

إلّا أنّ وجود رجال كبار من الشخصيات الشيعية في طليعة الركب، حال دون نجاح هذا المسعىٰ، وأسقط بيد أهله.

فمن بين الشخصيات الشيعية الكبيرة التي اشتهرت بمسعى الدفاع عن فكرة التقريب، تبرز أسماء من قبيل:

* آية الله السيد محمد حسين البروجردي.
* آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.
* العلّامة الشيخ محمد تقي القمّي.
* العلّامة الشيخ محمد رضا المظفّر.
* العلّامة السيد شرف الدين العاملي.
* العلّامة السيد محسن الأمين العاملي.
* الشيخ محمد جواد مغنية.... وغيرهم.

ويمكن أن تسجّل في هذا المضمار: أنّ قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية تألّقت في الأُفق الإسلامي عامةً بعد النهضة الإصلاحية التوحيدية التي تضافرت عليها جهود المجاهد العالم المثابر السيد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي المعروف بالأفغاني[١]، والعالم الأزهري المتنوّر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، حيث استطاعت أن تحقّق بدعم كبار مراجع الشيعة والشخصيات السنّيةالمتفتّحة انعطافة حاسمة في تاريخ العلاقات بين المسلمين، وأن تصيب موجات التعصّب الجاهلي بضربات في الصميم، وتحقّق مكاسب في هذا السبيل.

يقول أُستاذنا في التفسير والفلسفة، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب التأليف القيّم «الميزان في تفسير القرآن» في هذا الجانب: «ليس ثمة شكّ في رجحان الاتحاد أو التقريب الإسلامي من وجهة نظر العقل والمنطق. طبيعي أنّ عوامل التفرقة عملت ما استطاعت في فصل هاتين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين عن بعضهما البعض، ولكن علينا أن نتذكّر دائماً أنّ اختلافهما هو في الفروع، وليس ثمّة اختلاف بينهما في الأُصول، بل هما على اتّفاق في فروع الدين الضرورية، من قبيل الصلاة والصوم والحجّ والجهاد وغير ذلك، والجميع يجتمعون على إله واحد، ونبي واحد، وقرآن واحد، وقبلة واحدة.

تأسيساً على هذا الأصل، نجد أنّ شيعة الصدر الأول لم يعتزلوا أبداً صفّ الأكثرية، ولم يبخلوا بمساهمتهم مع عامة المسلمين في تقويم المسار الإسلامي العام، بل بذلوا الجهد والنصيحة في هذا السبيل.

ولأنّ على المسلمين أيضاً أن يعودوا إلى أنفسهم، آخذين بنظر الاعتبار اتّفاقهم على أُصول الإسلام، وما تجرّعوه من ضغوط في هذه الفترة من قبل العناصر الخارجة عليهم، أن يكونوا في صفٍّ واحدٍ، وأن يتخلّوا عن التفرقة عملياً.

---

١. انظر: الآثار الكاملة لجمال الدين الحسيني (الأفغاني) في ٩ مجلّدات، إعداد وتقديم سيد هادي خسروشاهي، ط ـ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية عام ١٤٢٢هـ.

وينبغي للمسلمين في الوقت نفسه أن يثبتوا هذه الحقيقة في العمل، قبل أن يكتشفها الآخرون ويسجّلوها في كتبهم باعتبارها حقيقة تاريخية.

من حسن الحظّ بدأ العالم الإسلامي ينتبه إلى هذه الحقيقة رويداً رويداً، ولم يأت تأييد مراجع الشيعة لفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلّا نتيجة لهذا الاتّجاه بالذات، كما حصل الأمر نفسه لشيخ الأزهر، الشيخ الجليل محمود شلتوت، الذي عبّر هذه الحقيقة بمنتهى الصراحة، وأعلن للعالم أجمع الاتّفاق الديني الكامل بين الشيعة والسنّة، وليس للشيعة إلّا أن يلتزموا جانب التقدير والثناء لهذا الرجل الكبير، ويقدّروا له مبادرته النزيهة.

نسأل الله سبحانه أن يهدي المغرضين، ويصلح المفسدين، وأن يوفّق المسلمين للاتّحاد كي يعود عليهم مجدهم السالف، وعظمتهم الآفلة»[١].

ونحن لا نملك إلّا التوجّه بالدعاء لأُستاذنا المرحوم السيد الطباطبائي، متمنّين من صميم قلوبنا أن ينفتح قصيرو النظر، وذوو المصالح الخاصّة على الساحة من حولهم، لينتبهوا إلى المؤامرات الواسعة التي يحيكها أعداء الإسلام، ويتلمّسوا بإحساسٍ عميقٍ المخاطر الكبيرة، فيبذلوا جهودهم في طريق الوحدة وسبيل التقريب.

لقد ساند العلّامة المرحوم السيد عبدالحسين الأميني أيضاً الوحدة الإسلامية كمبدأ، وأعلن في كتابه القيّم صراحة: أنّ البحث العلمي والكلامي لا يمكن أن يكون ـ ولا يجب أن يكون ـ عائقاً يبعث على الخلل في مسار الوحدة، لذلك نراه يكتب في مقدّمة كتابه القيّم «الغدير» ما نصّه: «وإنّ الآراء والمعتقدات القويمة والمذاهب حرّة، لا تفصم عرى الأُخوّة القويمة التي جاء بها الكتاب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٢] ولو بلغ الحوار فيها بين أُولئك الإخوان أشدّه، وقام الحجاج

---

١. الشيعة والتشيّع للعلّامة الطباطبائي، إعداد وتقديم وتعليق سيد هادي خسروشاهي، الطبعة العاشرة، إصدار: مركز البحوث الإسلامية، قم ـ إيران.

٢. الحجرات: ١٠.

والجدال على ساقيهما، جرياً على سيرة السلف، وفي مقدّمتهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

نحن المؤلّفون في أقطار الدنيا وأرجاء العالم الإسلامي، على اختلاف آرائنا، وتشتّتنا في الفروع، يجمعنا أصل قويم، وإيمان بالله ورسوله، تجمعنا روح واحدة، ونزعة دينية منزّهة عن الأهواء الباطلة، تجمعنا كلمة الإخلاص والتوحيد، نحن المؤلّفون نعيش تحت راية الحقّ، وتحت لواء الإسلام، وتحت قيادة الكتاب ورسالة النبي العربي الأقدس، نداؤنا ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[١]، وشعارنا: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، ألا نحن حزب الله وحماة دينه»[٢].

خطوة على الطريق

بعد المقدّمات المشار إليها آنفاً، نصل إلى الكتاب الذي بين أيدينا[٣]، إذ نعتقد أنّه جهد صادق في هذا السبيل، والذي نراه أنّ نشره لا يساهم في بيان تاريخ التشيّع إلى العالم السنّي وحسب، وإنّما يغذّي أيضاً تطلّعات الإنسان المعاصر، ولهفته إلى هذا الدرب من المعرفة، وهو بذلك يتيح الفرصة لذوي الإنصاف لأن يميّزوا بيننا وبين من يثير الضجيج، ويحكموا على بيّنة وبوضوح... .

إذا شئنا أن نمدّ جسور التفاهم، ونقتلع الأهواء والظنون التي لا داعي لها، ونطفئ أمواج الدعاية المضادّة المتلفّعة بالمقاصد الفاسدة، علينا أن نفتح باب البحث والتحقيق العلمي. فبذل الجهود في هذا المجال يفسد على الآخرين المتربّصين فرصهم في بثّ الأباطيل، والنيل من الوحدة الإسلامية، ولا يسمح في الوقت نفسه

---

١. آل عمران: ١٩.

٢. موسوعة الغدير: مقدّمة المجلد الخامس، ط ـ بيروت.

٣. نُشر هذا الملحق كمقدّمة لكتاب «تاريخ الفرق الاسلامية» الجزء الثاني منه، تأليف الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، عميد كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف، ط ـ القاهرة ١٤٢٣هـ، والكتاب طُبع في ستّة مجلّدات كبيرة.

للبعض بوضع الأحاديث ليرمي الشيعة في قرن العلم والتكنولوجيا بالانتساب إلى ابن سبأ اليهودي الموهوم، أو أن يزعم أنّ التشيّع صنيعة الصفوية! أو البويهيين، أو يرمي الشيعة بالشرك لسجودهم على التراب النظيف، وينعتهم بالغلوّ المساوي للكفر لحبّهم أهل البيت عليهم السلام.

إنّ التشيّع الصادق للإمام علي عليه السلام يدعونا إلى سلوك هذا الطريق الذي يتّسم بالجذرية، ويعدّ أكثر الطرق نجاعةً ومنطقيةً، بل الواجب أن نحوّله إلى مسارٍ كلّي، ومنهجٍ عام نخطّط في ضوئه نشاطنا المستقبلي، ونسعىٰ بصدقٍ لنيل الجهود في سبيله، دون أن نهاب تهم العدوّ وافتراءاته، أو نخشى الأصدقاء الجهلة.

وهنا من الضروري أن نشير إلى أنّ الساحة الثقافية في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، في حاجةٍ ماسّةٍ إلى مثل هذه الدراسات المعتدلة والموضوعية التي تلقي الضوء على تاريخ الشيعة والتشيّع وإن كنّا قد نتّفق وقد نختلف مع المؤلّف في بعض القضايا المتعلّقة بنشأة الشيعة والتشيّع ـ مثل قصة عبدالله بن سبأ وما تسمّى بالسبئية! ـ إلّا أنّ الخلاف في بعض الآراء لا يفسد للودّ قضية، ولا يعني التقليل من شأن الكتاب وأهمّيته، كما لا يعني التقليل من شأن الأُستاذ الدكتور الفيومي وقيمته العلمية الكبيرة التي أهّلته للخوض في مثل هذه القضية الهامة التي تسهم في التعرّف علىٰ تاريخ الشيعة والتشيّع، وتسهم بالتالي في التقريب بين السنّة والشيعة، فإنّ التقريب في أساسه إنّما يعتمد على المعرفة التي تنفي الجهل والشكّ، الذي هو أساس الفرقة بين المسلمين...[١]

---

١. في آخر المقال يعرج الكاتب إلى كيل المدح والثناء على مؤلّف كتاب «تاريخ الفرق الاسلامية» والدعاء له على ما أنجزه من جهد ومسعىٰ أثمر عن هذا الكتاب. حذفناه هنا إذ لا علاقة له بما نحن بصدده هنا.

الملحق الثالث

لا، يا إخواننا في الدين![1]

السيد رئيس تحرير مجلة «التوحيد» المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، نشرتم في العدد السابع والثامن من مجلّتكم مقالاً تحت عنوان: «يا دعاة التقريب»، ثم نشرتم في العدد العاشر مقالاً آخر تحت عنوان: «فرق حذّر منها العلماء: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية)!!

وفي هذه المقالات خرج الكاتب عن حدود الخلق والأدب، والعلم والتقوى، التي أوجبها الإسلام على المسلمين في سلوكهم مع الآخرين، وخاصّةً إخوانهم في الدين، لا أن ينشر الكلام علىٰ عواهنه هكذا بدافع العصبية المذهبية، ونهج التربّص، وعلى أساس عقل الماضي لا عقل الحاضر.

إنّنا نعيش في عصرٍ مفتوحٍ يصعب فيه على المرء أو الطائفة إخفاء عقائدها، وتبنّي العقائد السرّية التي زعم الكاتب نسبتها إلى الشيعة الإمامية، علىٰ أساس مصادر الخصوم، دون أن يكلّف نفسه مشقّة البحث والتحرّي في مصادر الشيعة

---

١. مقال كتبه صاحب هذا الكتاب في القاهرة ردّاً على اعتراض مجلّة «التوحيد»، وتهاجمها لإقامة ندوة التقريب التي انعقدت في المولد النبوي من سنة ١٤٢٢هـ، وقد بعث به إلى إدارة المجلة، لكنّهم لم ينشروه ألبتة.

والمجلة تصدر عن جمعية أنصار السنّة المحمدية، وهم المعروفون بالسلفية المتطرّفة في مصر،... ولهم مساجد خاصة وكتب ونشرات أخرى.

بصورة مباشرة، موضوعية متجرّدة.

ونحن هنا سوف نردّ بالإجمال والاختصار على تلك الطعون والشبهات التي أثارها الكاتب حول الشيعة الإمامية، والتي هي في مضمونها ليست جديدة، وإنّما هي وليدة عقل الماضي، وقد تصدّى علماء الشيعة ورموزها للردّ عليها وتفنيدها، وكان من الأولى على الكاتب لو تحلّىٰ بالموضوعية والإنصاف أن يطلّع عليها قبل أن يشهر حرابه في وجه الشيعة، ويقلّل من شأنهم وقدرهم، ودورهم إلى هذا الحدّ، وهم الذين يمثّلون حوالي ثلث المسلمين على مستوى العالم.

ولو سرنا على نهج الكاتب في مواجهة عقائد بعض إخواننا من أهل السنّة ـ وأقصد منه السلفيّين!! ـ لوصلنا إلى نفس النتائج! فتراث الذين يسمّون أنفسهم بالسلفيّين! مليء بالعورات التي يأخذها عليهم الشيعة، ولا نريد الخوض فيها هنا، فهي مطروحة في كتبٍ كثيرةٍ لا تنحصر في دائرة الشيعة وحدها، وإنّما تتعدّاها إلى كتب خصومهم من المعتزلة وغيرهم.

قضية التقريب

هاجم الكاتب مسألة التقريب بين السنّة والشيعة وشكّك فيها، وقد حوىٰ هجومه هذا هجوماً ضمنياً على علماء ورجال عظام من الأزهر الشريف، الذين يتبنّون فكرة التقريب، وهذا يعني تجهيل هؤلاء، وهو ما لا يصحّ ولا يجوز قوله.

وإذا كان الكاتب قد اعتبر أنّ للشيعة هدفاً خبيثاً من وراء التقريب، فهذا يعني أنّ رجال الأزهر الشريف لهم أهدافهم الخبيثة أيضاً، ويشاركون في التآمر على الإسلام مع الشيعة حسب زعم الكاتب! فهل يُعقل مثل هذا الكلام؟!

إنّ الكاتب يتّهم رجال وعلماء الأزهر الشريف بالسطحية والسذاجة! وعلى م الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت الذي أصدر فتواه الشهيرة في جواز مذهب الشيعة عام ١٩٥٨، وليس عام ١٩٦١ كما ذكر الكاتب.

كان يجب على المجلّة الموقرة! أولاً وقبل كلّ شيء أن تكشف لنا المستوى العلمي للكاتب، هل هو يساوي رجال الأزهر مثلاً، أم هو أعلم وأفقه منهم؟

وهل له مؤلّفات وإصدارات علمية ذات قيمة، أم هو مجرّد نابح على الشيعة، من هؤلاء الصغار؟

وكيف له أن يدّعي أنّ الشيعة أكثر الناس شقاقاً ونزاعاً لأهل السنّة، وأهل السنّة هم أصحاب السيادة والانتشار والغلبة على مرّ تاريخ المسلمين؟

ولو كان للكاتب قدر من الوعي التاريخي لأدرك أنّ الشيعة هي الطائفة المظلومة والمهاجَمة على الدوام في جميع العصور الإسلامية، حتّى في عصرنا الحاضر...

ولو كان للكاتب قدر من الوعي التاريخي، لأدرك أنّ الشيعة هي الطائفة المظلومة والمهاجَمة على الدوام في جميع العصور الإسلامية، حتّى في عصرنا الحاضر...

وعلى الكاتب أن يبرهن على صحّة ما يدّعي ويقدّم لنا إحصائية تاريخية بعدد حالات الشقاق والنزاع التي وقعت من الشيعة في مواجهة غيرهم، وهم الذين حاصرتهم شتّى صور البطش والتنكيل والتصفية في العالم الإسلامي، ليس لذنب جَنوه إلّا كونهم يوالون آل بيت النبي ﷺ، ويتشيّعون لهم، ويتّبعونهم في العقائد والمسائل الفقهية.

وقد حدّد الكاتب أنّ مراد الشيعة من التقريب هو الاعتراف بوجود خلاف، وتحسين الظنّ بالمخالف فيما اجتهد فيه! وفتح أبواب الدعاية للمذهب الشيعي!

وهذا كلام ساذج لا ينمّ عن وعي ودقّة، فالشيعة لا تنكر أنّ هناك خلافاً في الفروع الفقهية، قائماً منذ قرون، ولو اطّلع الكاتب على مصادرها لأدرك ذلك، أمّا مطلب تحسين الظنّ فهو مطلب شرعي، وحقّ لكلّ مسلم، فلماذا ينكره الكاتب على الشيعة؟ ولماذا يكرهه؟

والجواب معروف، وهو: أنّ الكاتب يريد من المسلمين أن يسيئوا الظنّ بالشيعة،

وأن يعادوهم، وأن يكفّروهم... وهذا في ظلّ عصرٍ يتربّص الأعداء بنا جميعاً ـ من شيعة وسنّة ـ وقاموا بشنّ حرب صليبية ضدّنا وفي كلّ مكان.

والسؤال هنا: أليس هذا الموقف يزرع بذور النزاع والشقاق بين المسلمين؟

وإذا كان الشيعة هم الذين يطلبون التقريب، ويأتي الكاتب ويقول مثل هذا الكلام، أفلا يعني هذا أنّه يزرع بذور الشقاق والنزاع بين المسلمين؟

إنّ من الواضح لم يكن الكاتب في حسبانه مثل تلك الأُمور، لأنّه يكتب من خلال معتقده التعصّبي الخاصّ في الشيعة، لا من خلال المعتقد الإسلامي العام، الذي لا يجيز تكفير المسلمين والتشكيك في معتقداتهم ماداموا في حظيرة الشهادتين.

وهذا الأمر هو ما دفع الخليفة عمر بن الخطاب إلى الخلاف مع الخليفة الأول أبي بكر، حين قرّر مقاتلة (مانعي الزكاة)!

وكيف للكاتب أن يحكم على نوايا الشيعة وقد حرّم الإسلام ذلك؟! ومن أين له الدليل في هذا الحكم؟

قال ابن عبد الهادي: «وما تحلّى طالب العلم بشيءٍ أحسن من الإنصاف، وترك التعصّب»[1].

ولو اطّلع الكاتب على كتب الرجال، لوجد فقهاء السلف كانوا يروون الأحاديث عن المخالفين من الشيعة، وحتّى الخوارج وغيرهم... فعليه أن يطّلع على مقدّمة «فتح الباري» لابن حجر، ليرىٰ نماذج الرواة الذين روىٰ عنهم البخاري من الفرق المخالفة لأهل السنّة.

وقال الذهبي: «ربّما آل بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدّة، فيقع في الهجران المحرّم، وربّما أفضىٰ ذلك إلى التكفير والسعي في الذم»[2].

وقال ابن تيمية: «فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض،

---

١. نصب الراية ١: ٣٥٥، ط ـ القاهرة.

٢. تهذيب سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٠٢.

إذا لم يكن عالماً عادلاً كان في النار. فكيف بمن يحكم في الملل، وأُصول الايمان والمعارف الإلهية والمعالم العلية بلا علمٍ ولا عدل»[١].

أيها الكاتب العزيز: ألم تعلم أنّ الله سبحانه قد أوجب إنصاف الكفّار في محكم كتابه؟

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

فكيف الحال بأهل القبلة؟ والقائلين: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله؟

الدعاية للشيعة والثورة الإسلامية

أمّا فيما يتعلّق بفتح أبواب الدعاية للمذهب الشيعي وإيران، فالشيعة في إيران لايحتاجون إلى دعاية، فقد قاموا بثورة إسلامية تاريخية، وأقاموا دولةً قلبت موازين المنطقة، وأصبحوا حديث العالم، فهل مثل هؤلاء يحتاجون إلى دعاية؟

إنّ الشيعة قد قاموا بعمليات استشهادية، بمقاومة صامدة بوجه العدوّ الصهيوني في جنوب لبنان، وأجبروا العدوّ المحتلّ على الهروب من بلد إسلامي كان قد احتلّه، فهل يحتاج هذا إلى دعاية؟

ثم ما هي المشكلة في قول العلّامة الشيخ التسخيري في ندوة التقريب[٣] بالقاهرة: «أنّه لايقصد تحقيق تذويب بين المذاهب، وأنّه يريد تفهّماً أكبر» إنّ مثل

---

١. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ١: ٢٢.

٢. المائدة: ٨.

٣. في المولد النبوي من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ، اشترك في ندوة التقريب بالقاهرة كلٌّ من فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر)، والشيخ نصر فريد واصل (مفتي الديار المصرية)، والدكتور محمود حمدي زقزوق (وزير الأوقاف المصرية)، والدكتور أحمد عمر هاشم (رئيس جامعة الأزهر)، وكلٌّ من آيات الله: الشيخ محمد واعظ زادة، والشيخ محمد علي التسخيري، والسيد هادي خسروشاهي (من إيران)، والشيخ محمود فرحات (مدير عام المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان)، والشيخ أحمد بن سعود السيابي (الأمين العام لمكتب الإفتاء بعمان)، والأستاذ عبدالله محمد تقي القمي (سكرتير عام دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ مصر)، والأستاذ محمود مراد. وقد ناقشوا مشاكل العالم الاسلامي، وأكّدوا على ضرورة التقريب بين المذاهب الاسلامية؛ لجمع شمل المسلمين...

هذا الكلام الصادق إعلان صريح منه أنّه لايسعىٰ إلى احتواء المذاهب الأُخرى، أو الخلط بينها، وإنّما يريد التقارب علىٰ أساس الفهم والوعي.

ولست أدري، هل كان الكاتب يريد عرض كلام الشيخ التسخيري للتدليل على أنّ الشيعة يريدون التقارب مع المذاهب الأُخرى دون أن يتنازلوا عن شيءٍ من مذهبهم وعقائدهم؟

وما هو الضرر من هذا؟ وهل يطلب الشيعة من أهل السنّة أن يتنازلوا عن شيءٍ من أُصولهم وعقائدهم من أجل التقريب؟

أيها الكاتب العزيز، إنّ التقريب لايهدف إلى شيءٍ من هذا، ومن حقّك أن تقول: نحن لايخالجنا شكٌ في صحّة مذهبنا، لكن ليس من حقّك أن تشكّك في مذاهب الآخرين، وأن تدّعي أنّ الشيعة يشكّون في مذهبهم!

فمن أين أتىٰ بهذا الكلام؟ وما هو دليله عليه؟

أليس هذا من باب الافتراء والقول الباطل، أم أنّ الكاتب يتعامل مع الشيعة بمنطق الاستحلال؟

ومثل هذا الادّعاء، ادّعاؤه بأنّ الثورة الإيرانية ليست ثورة إسلامية! بل ثورة فارسية! فهذا من البهتان، لأنّه قد قدم لنا الواقع والأحداث، ما يؤكّد إسلامية الثورة والحكم في إيران، وما يعرّي الدول الأُخرى التي ترفع شعار الإسلام مثل طالبان، والتي لايجرؤ الكاتب وأمثاله علىٰ نقدها وتعريتها، والأسباب معروفة لانريد الخوض فيها.

لقد فات الكاتب أنّ غالبية مصادر مذهب أهل السنّة إنّما هي فارسية الأصل، لكونها تقوم على روايات وأحاديث وعقائد جاءت جميعاً عن طريق فقهاء ومحدّثين من فارس، وعلى رأسهم: البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة، وابن راهويه، والنسائي، والجويني، والغزالي، وعبدالله بن المبارك، والحسن البصري، وربيعة الرأي، والشهرستاني، والماتريدي، وطاووس بن كيسان، وأبو حنيفة،

والرازي، والزمخشري، وغيرهم كثير... .

وهل في هذا عيب؟

ولو كان الكاتب قد قرأ التاريخ جيّداً كما يدّعي لعرف هذه الحقيقة. ولعرف أيضاً أنّ الشيعة الذين يخاصمهم ويتجنّىٰ عليهم، إنّما هم يتلقّون مذهبهم وفقههم من أنظف بيوت العرب وأطهرها، وهو بيت الرسول ﷺ.

والحقيقة التي غابت عن الكاتب، الذي سعىٰ إلى إثارة النزعات العنصرية، محاولاً التشكيك في الثورة الإسلامية في إيران لكون الذين فجروا هذه الثورة من الفرس، هذه الحقيقة هي أنّ أهل السنّة العرب يتلقّون مذهبهم الفقهي من الفرس، والشيعة الفرس يتلّقون مذهبهم من العرب، أبناء الرسول ﷺ.

والإمام الخميني ﵀ الذي واجه شتّىٰ صور الطعن والتشويه من الاستكبار العالمي والصهيونية، ومن بعض الأخوة من السلفيّين، هو من أصلٍ عربي هاشمي، ويمتدّ نسبه إلى الإمام الحسين سلام الله عليه... .

الحرب والجهاد

أمّا ما ذكره الكاتب بشأن الحرب العراقية ضدّ إيران الإسلام، فيكفي القول بأنّ العراق وحزب البعث العربي الاشتراكي العفلقي العلماني الحاكم فيها، هو الذي بدأ الحرب، وقام بغزو الأراضي الإيرانية، وأنّ الذين كانوا يدعمونه ويباركونه من الغرب والشرق وعملائهما من العرب الجاهلين الجدد، كانوا أعداء الشيعة والسنّة، وهذه حقيقة معروفة للقاصي والداني، خاض فيها الكاتب بغير علم.

ثم يواصل الكاتب بهتانه وضلالاته، فيدّعي أنّ الشيعة لايقاتلون إلّا في سبيل الأرض والعصبية! أمّا القتال في سبيل الله فهو مؤجّل حتّى يظهر الإمام المهدي!!

ويكفي للردّ علىٰ هذا الكلام الباطل أن نقول: إنّ فقهاء أهل السنّة ومؤسّساتهم وقفوا صفّاً واحداً إلى جانب الكويت وهي تسعى لاسترجاع أرضها من بعث العراق

الغازي، وحتّى أفتىٰ بعضهم في الجزيرة العربية بجواز الاستعانة بالمشركين لتحرير الكويت... وكلّ ذلك كان من أجل الأرض.

وإذا كان جهاد حزب الله في الجنوب اللبناني ضدّ العدوّ الصهيوني هو من باب العصبية وليس في سبيل الله، فما هو الحكم في الانتفاضة والجهاد الدائـر داخـل فلسطين المحتلّة ـ وبدعم من المسلمين الصادقين ـ وهو قتال في سبيل الأرض؟

فالواقع أنّ المسألة من منظور الكاتب، مسألة عصبية مذهبية جاهلية، تقوم علىٰ أساس تفريق المسلمين، بحيث لا يعترف بجهاد الشيعة مهما بذلوا ومهما ضحّوا في سبيل الله وفي كلّ العالم.

وإذا كان الجهاد معطّل عند الشيعة، فلماذا مارسوه في جنوب لبنان! ولماذا قامت الثورة في إيران!

وماذا يمكن أن نسمّي الجهاد الذي كان يدور في أفغانستان ضدّ الروس الغزاة، ألم يكن جهاداً في سبيل الأرض؟ وقد وقف أهل السنّة فقهاء ومؤسسات من ورائه، وباركوه ودعموه.

والشيء الذي غفل عنه الكاتب أنّ الجهاد الذي كان دائراً في أفغانستان ضـدّ الروس، لم يكن مقصوراً على أهل السنّة وحدهم، بل كان يشارك فيه الشيعة من أبناء الهزارة أيضاً.

وحسب تصوّر الكاتب، فإنّ ما كان يجري في أفغانستان لم يكن جهاداً، ومـا جرىٰ فيما بعد لا صلة له بالجهاد، لأنّ ذلك كلّه كان في سبيل تحرير الأرض!

وأين الكاتب إذاً من قول الرسول ﷺ: «من قُتل دون ماله أو أرضه فهو شهيد»؟!

ولقد استخلص خيال الكاتب نتائج، وبنى مواقف لاتتّفق مع الدين والخلق، ومع العلم أيضاً، إذ كيف له أن يوقن ويعلن بأنّ الشيعة يريدون وحدةً لأجل القضاء على الإسلام!! ويقول في غرور: «وعلى ذلك لو أقسموا بأغلظ الأيمان أنـهم يـريدون وحدةً لأجل القضاء على أعداء الإسلام، فهذا لايكون، وتاريخهم معروف، مع من

اتّحدوا، وعلى من تعاونوا!»، العياذ بالله من هذا التعصّب الجاهلي الأعمى.

يتحدّث الكاتب وكأنّه يملك القدرة على منع قيام الوحدة والتقريب بين الشيعة والسنّة، فقد أعماه تعصّبه فنسي قدره.

كان الأجدر بالكاتب من باب العلم والتيقّن أن يلحق بكلامه الأدلّة والوثائق التي تبيّن تاريخ الشيعة، وتؤكّد ما يثيره من شبهات، أمّا أن يلقي بالكلام والادّعاء من دون دليلٍ ووثيقةٍ، فهذا ليس من العدل والحقّ، ولا من العلم والفهم شيئاً.

سؤال بسيط

ثم إنّ السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: باسم من يتحدّث الكاتب؟

إذا كان يتحدّث باسم أهل السنّة فقد كذب، فإنّ أهل السنّة مذاهب متعدّدة، الغالبية منها قد انضوى تحت راية التقريب... وإذا كان يتحدّث باسم مذهبٍ معيّنٍ يرفض التقارب، ويشكّك في الشيعة! فهذا شأنه، ولكن لايجوز له التحدّث بلسان أهل السنّة، فإنّ فقهاء مذاهب أهل السنّة في بقاع العالم الإسلامي، الذين يعيشون إلى جوار الشيعة في العراق وآذربيجان ودول الخليج والجزيرة العربية والهند وباكستان واليمن ولبنان وسوريا وإيران وأفغانستان وغيرها من الدول، لا يقولون مثل هذا الكلام الذي ادّعاه الكاتب الذي لا يمثّل سوى فئة قليلة من الذين يسمّون أنفسهم بالسلفيّين! الذين يكفّرون أهل السنّة أيضاً كما يكفّرون الشيعة.

استنتاج غريب!

وقد أنهى الكاتب الحلقة الأولى من مقاله، وبدأ مقاله الثاني بقوله: «وقد انتهينا في الحلقة السابقة أنّ هدف الشيعة من التقريب يتبلور في عدّة نقاط:

أولها: الاتّفاق على مجموعة من العقائد المشتركة بين الفريقين المختلفين...

الثاني: ينوي الشيعة البحث عن سبل عملية سياسية أو اجتماعية لتتبلور فيها حقيقة التقريب... .

الثالث: ترغب الشيعة غضّ النظر عن كلّ ما يسبّب التناحر والفرقة والنزاع...

والسؤال هنا: ما وجه الغرابة في هذه الأهداف؟ وما وجه الضرر من الاتّفاق على العقائد المشتركة؟

وإذا كان الشيعة يبحثون عن سبل بلورة التقريب، وغضّ النظر عن أسباب الفرقة والتناحر والنزاع، فهل يبرّر هذا الطعن في عقائدهم، وإثارة الشبهات من حولهم، ونشر الأكاذيب ضدّهم؟!

في الواقع، إنّما يدين الكاتب نفسه بهذا الكلام، ويبدو أنّ شعوره بالخلل فيما يقول، قد دفع به أن يفجّر في عصبيةٍ عمياء قضية الوزير ابن العلقمي وقتل المستعصم آخر خلفاء بني العباس على يد التتار الغزاة، ثم ما أُثير في بعض المصادر المشبوهة أنّ الشيعة تآمروا مع الصليبيين ضدّ المسلمين (!!).

ومن حيث إنّ الكاتب يتبنّىٰ نهج الخصومة والتصيّد، فقد تلقّف قضية العلقمي وغيرها من شبهات المؤرّخين المخاصمين للشيعة أو المستشرقين اليهود، دون أن يكلّف نفسه مشقّة البحث عن أصل هذه الشبهات ودوافعها في مختلف المصادر التاريخية، وهذا أقلّ ما يفرضه عليه العدل والإنصاف إن كان يبتغي وجه الله بحقّ.

ويكفي للردّ على شبهة تعاون ابن العلقمي مع التتار لإقامة دولة علوية على أنقاض دولة الخلافة العباسية، الإشارة إلى أنّ هولاكو عندما دخل بغداد لم يفرّق بين السنّة والشيعة، واستباح الجميع، ولم يستثن سوى النصارى... ومن ناحية أخرىٰ أنّ التاريخ يروي بأنّ التتار كانوا يهدّدون بغداد قبل تسلّم المستعصم الخلافة، وكان جيش دولة الخلافة ضعيفاً لايقوىٰ علىٰ درء خطر التتار من قبل تولّي ابن العلقمي الوزارة أيضاً.

قال ابن الجوزي عن ابن العلقمي: «كان رجلاً فاضلاً، صالحاً عفيفاً، قارئاً للقرآن...»[١].

وقال ابن كثير في تاريخه بعد أن اتّهم ابن العلقمي بمخابرة التتار: «إنّ الخليفة المستعصم هو الذي يتحمّل مسؤولية سقوط بغداد بسبب إهماله نصائح الوزير العلقمي»[٢].

عقائد الشيعة

زعم الكاتب أنّ الشيعة تعتقد بأنّ «المهدي» محبوس في سرداب!! وأنّ الشيعة يدعون الله بقولهم: عجلّ الله فرجه، لأنّه محبوس في السرداب، وأنّهم ينتظرون المهدي ليحاربوا أهل السنّة!!

وفي الحقيقة أنّ هذا الكلام هوس في الرؤوس، وهذيان في النفوس، لا حقيقة له ولا عين، ولا أثر ولا في أيّ مصدرٍ شيعي، والكاتب هنا يردّد كلام الخصوم، وينقل عنهم لا أكثر. فعقيدة الشيعة في ظهور المهدي في آخر الزمان هي مثل عقيدة أهل السنّة في أصلها، والأحاديث متواترة وموجودة في كتب الفريقين[٣]. أمّا من هو؟ ومتى يتمّ ظهوره؟ فهذه أُمور فرعية ليس من الضروري النقاش حولها، ما دمنا متّفقين في صحّة أصل الموضوع.

وليس مطلوباً من الشيعة أن تتوافق عقائدهم مع أهل السنّة في كلّ شيء، والعكس أيضاً صحيح، فكلّ مذهب له مقوّماته وقواعده ورواياته التي اعتمدها.

---

١. مرآة الزمان ٨: ٧٤٧ القسم الثاني، وراجع العجد المسبوك للخزرجي ٢: ١٩٤، وطبقات الشافعية ٥: ١١٠، وتاريخ ابن الطقطقي: ٣٣٧ ومابعده.

٢. تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٠.

٣. انظر كتاب: عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر، للشيخ عبدالمحسن العبادي، مساعد رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، مطابع الرشيد، المدينة، ١٤٠٢هـ، وكتابه الثاني تحت عنوان: الردّ على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي.

ثم يقول الكاتب: «إنّ الخلاف بيننا وبين الشيعة في أُصول الدين، ولا مرية في ذلك»!! وقد كذب في هذا القول، لأنّ أُصول الدين معروفة ومشهورة عند جميع المذاهب الإسلامية بلا خلاف، والشيعة لا تعتقد بغير هذه الأُصول المعروفة عند الجميع.

وهذا القول الشاذّ من الكاتب في الواقع يدين السلفيّين أنفسهم، إذ يوحي وكأنّ لهم أُصولاً أُخرى غير ماعند بقية المذاهب، ممّا يبنى عليه وجود دين آخر غير مذاهب بقية المسلمين، وليس هناك من تبرير للقول هذا سوىٰ أنّه يعتقد أنّهم فقط هم الإسلام، أو الممثّلون الوحيدون له! وهو ما يقودنا إلى نفس النتيجة السابقة... وكان على الكاتب ـ إن كان من أهل العلم والتقوى والحقّ والعدل ـ أن يفرّق بين الأُصول والفروع، وبين النصوص والاجتهادات، إلّا أنّه وقع في الخلط بين الأُصول والفروع، والنصوص والاجتهادات، ثم بنىٰ على أساس الفروع والاجتهادات الموقف من الشيعة، وهو ما نراه واضحاً من خلال قوله: «الخلاف بيننا وبين الشيعة في أُصول الدين ولا مرية في ذلك، فالشيعة ينكرون صفات الله تعالى، ولا يؤمنون برؤية الله تعالى في الآخرة، ويعتقدون بعصمة الائمة، وأنّ لهم ولاية تكوينية على ذرّات الكون، وأنّهم أعلى مقاماً من الأنبياء ويبغضون جبريل كاليهود، ولا يؤمنون بالصحيحين ولا بأيّ كتابٍ من كتب السنّة...»!

وسوف نعرض لكلّ أمرٍ من هذه الأُمور ـ باختصار ـ ليتبيّن لنا مدى غفلة الكاتب وجهله بالحقائق، واستسلامه التام لعقل الماضي، وعدم معرفته بعقائد الشيعة ومصادرها.

❋ ❋ ❋

فيما يتعلّق بإنكار صفات الله سبحانه، فهذا من باطل القول، لكنّه الاتّهام الدائم من قبل البعض لخصومهم الذين يتبنّون رؤيةً في صفات الله تخالف رؤيتهم، وهو اتهام قديم.

إنّ رؤية الشيعة في صفات الله تتركّز فيما يلي: أنّ الله سبحانه ليس له مكان خاصّ كما يعتقد البعض أنّه في السماء!! وأنّ الله تعالى لايمكن رؤيته، وهذا من باب الاستحالة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1].

تعتقد الشيعة أنّ صفات الله أمثال: العلم والقدرة والأزلية ونحوها، مجموعة في ذاته سبحانه، وهي ليست كصفات المخلوقات المستقلّة عن بعضها، والمنفصلة عن ذواتهم، وهذ الرؤية تخالف رؤية بعض إخواننا من أهل السنّة.

ومن هنا ونتيجة للصراعات والصدامات الفكرية والعقائدية التي وقع فيها بعض إخواننا مع خصومهم في العصر العباسي ـ فترة نشوء مذهبهم ومعتقداتهم ـ كان ردّ الفعل من قبلهم عنيفاً تجاه الخصوم والمخالفين، فحكموا مثلاً بكفر الذي يقول بخلق القرآن وهو معتقد الشيعة والمعتزلة.

واعتبروا المؤوّلة للصفات الذين يفسّرونها على وجه المجاز، دون الاعتماد على الروايات الواردة بشأنها عندهم، والذين يخالفونهم في معتقداتهم تجاهها، اعتبروهم منكرين لصفات الله تعالى، ومن بين هؤلاء الشيعة.

❊ ❊ ❊

أمّا فيما يتعلّق بعصمة أئمة آل البيت عليهم السلام، فالشيعة تعتقد في عصمتهم، وهم الائمة الاثنا عشر، ويقوم هذا الاعتقاد على أدلّةٍ كثيرةٍ من الكتاب والسنّة، وعلى رأسها قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

وقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي

---

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. الأحزاب: ٣٣.

فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ـ فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ـ ثم قال: «و أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»[١].

وطالما أنّ المعتقد يدور في دائرة النصّ فلايجوز إثارة الشبهات من حوله، وإن كان البعض لهم رؤية مخالفة في هذين النصّين فليست هذه الرؤية إلّا محض اجتهاد.

❋ ❋ ❋

أمّا ما ذكره الكاتب بخصوص الائمة، وأنّ الشيعة يبغضون جبريلعليه السلام، فهو الباطل بعينه، وهو دليل قاطع على أنّ الكاتب لم يطّلع على مصادر الشيعة، وينقل كلامه من كتب الخصوم السابقين!

وليس من بين مصادر الشيعة الاعتقادية مصدر واحد يقول بتأليه أئمة أهل البيت أو بغض جبريل، وأنّ الخصوم إنّما يتصيّدون دائماً الروايات المتناثرة في بعض الكتب ويؤوّلونها على طريقتهم، وليس كلّ ما يروىٰ في كتب الشيعة هو صحيح عندهم، فهناك قاعدة تحكم الروايات وما ينقل عن أئمة أهل البيتعليهم السلام، وهي أنّ الرواية التي لا توافق القرآن والعقل يُضرب بها عرض الحائط.

❋ ❋ ❋

أمّا ما يتعلّق بالبخاري ومسلم وكتب السنن الأُخرى، فهذا لايعني إنكار السنّة أو ردّ مصادر أهل السنّة، بل إنّ الشيعة لديها كتب السنن الخاصّة بها والتي تخضع للغربلة دائماً، وليس من المعقول أن يطلب أهل السنّة من الشيعة الايمان برواياتهم، فإنّ الشيعة أيضاً من الأصل لا تطلب من أهل السنّة الايمان برواياتهم.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ من كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب ح ٣٦ (٢٤٠٨).

إنّ أهل السنّة يتناولون الحديث بطرق، والشيعة يتناولونه بطرق أُخرى. ومن هنا نشأ الخلاف حول الأحاديث، وأصبحت هناك أحاديث لدى السنّة ليست موجودة عند الشيعة، وأحاديث عند الشيعة غير موجودة لدى السنّة، وهذا لايمنع وجود أحاديث مشتركة كثيرة لدى الطرفين[١]، مثل حديث الكتاب والعترة المذكور سابقاً.

والخلاف حول الأحاديث والحكم عليها أمر لايخالف أُصول الدين في شيء، إنّما الخلاف حول القرآن هوالذي يصطدم بأُصول الدين.

وإذا كان قد اعتبر كاتبنا هذا أنّ الايمان بصفات الله على مذهب أهل السنّة من الأُصول، وأنّ الايمان برؤية الله من الأُصول، وأنّ الايمان بالبخاري ومسلم وكتب السنة الأُخرى من الأُصول، فذلك هو الجهل بعينه، وليس بحقّ، وليس هو في حدود الدين وحده، بل في حدود مذهب أهل السنّة أيضاً، الذين جهل الكاتب موقفهم الصريح تجاه تكفير المخالف، وهو موقف الرفض.

قال ابن تيمية: «ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم»[٢].

* * *

وفيما يتعلّق بالبداء فليس هو عبارة عن أن يظهر ويبدو لله عزّ شأنه أمراً لم يكن عالماً به، فإنّ هذا هو الجهل الشنيع، والكفر الفظيع، لاستلزامه الجهل على الله

١. والمركز العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية في صدد إصدار سلسلة طويلة من الكتب التي تعنى بذكر الأحاديث المشتركة عند الفريقين، وفي كافة المجالات، في أبواب الفقه والعبادات والمعاملات، والتاريخ والرجال، وعلوم القرآن والحديث و...، صدر من السلسلة الذهبية هذه: كتاب الصلاة والصوم والجمعة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والزكاة والدعاء والحديث القدسي والنصوص الاقتصادية في القرآن والسنّة وأحاديث الأخلاق والأحاديث الواردة حول أهل البيت عليهم السلام، وحول عيسى عليه السلام، وغيرها... ممّا يؤكّد بشدة على وجود المشتركات العديدة والكثيرة بين الشيعة وأهل السنّة، والدليل على وحدة الأُصول والمنبع وطهارة المرتع.

٢. مجموع الفتاوى ٧: ٦٨٤.

سبحانه وتعالى، وأنّه محلّ الحوادث والمتغيّرات. وما نقله الكاتب عن كتاب القمّي ليس صحيحاً، لأنّه لايعرف كتاب القمي من الأصل، بل نقل عن ناقلٍ خصمٍ قد قام بتحريف كلام القمي.

❊ ❊ ❊

أمّا ما يتعلّق بتحريف القرآن فهو كذب صريح، فليس للشيعة قرآن غير القرآن المتداول بين أيدي المسلمين وأنّ ما نقله بعض الخصوم من كتب الشيعة حول القرآن هو كلام أُخذ على غير مراد صاحب الكتاب، وإن كانت هناك رواية ضعيفة فهي غير معمول بها عند علماء الشيعة، ومثلها كمثل روايات متعدّدة في كتب أهل السنّة تتعلّق بالقرآن وزيادته ونقصانه، ووجود سور كانت تُقرأ وتُحفظ ثم اختفت أو رُفعت، مثل آية الرجم وآية الرضاع.

انظر الاتقان للسيوطي، وكتب تاريخ القرآن، وانظر فتح الباري[١]، وانظر مسلم، كتاب الزكاة باب: لو أنّ لابن آدم واديين لابتغىٰ ثالثاً. وانظر الطبراني والبيهقي ومسند أحمد أيضاً.

❊ ❊ ❊

أمّا الموقف من الصحابة، فليس هو التكفير كما قال الكاتب، فالشيعة لايكفّرون أصحاب النبي ﷺ، بل توقّف الشيعة في بعضهم، ونقلوا عن البعض الآخر ممّن يرون فيهم الالتزام بالصحبة ونهج الرسول ﷺ. وقد اعتمد الشيعة في موقفهم هذا على نصوص كثيرة من الكتاب والسنّة لايتّسع المجال لذكرها هنا.

انظر كتاب «أصل الشيعة وأصولها» للشيخ كاشف الغطاء، طبعة القاهرة، دار

---

١. فتح الباري في شرح البخاري ٩: ٦٥.

النجاح، وكتاب «معالم المدرستين» للعلّامة مرتضى العسكري، طبعة بيروت، وغيرها من كتب الشيعة المنتشرة في الأسواق.

التقية والمتعة

وبخصوص التقية، فهي باختصار الالتزام بمبدأ السرّية في إخفاء المعتقد في مواجهة حملات البطش والتنكيل التي واجهت الشيعة طوال العصور الماضية ـ مثل العصرين الأموي والعباسي ـ وهو مبدأ طبيعي، ويحضّ عليه الإسلام من خلال قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[١] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٢] وليس المقصود بالتقية إخفاء العقائد الكفرية! وإظهار الإسلام، كما توهّم الكاتب وأمثاله من خصوم الشيعة.

وقد أفتى الإمام الخميني‌ بانتهاء عصر التقية بعد قيام الثورة الإسلامية في ايران، إذ لا حاجة لها في ظلّ عصرنا المكشوف، والذي يصعب فيه على صاحب معتقد إخفاء معتقده، ولا يُقتل الشيعة لأنّهم يحبّون أهل البيت، وما حدث في العراق بيد الطاغية صدام أو ما يحدث في باكستان ضدّ الشيعة، فهذا موقف شاذّ، لا يوجب الأخذ بالتقية، كما نرى ذلك.

هذا وأنّ وكثيراً من مذاهب أهل السنّة يتبنّى نفس وجهتها ومعتقدها في هذا الشأن، وهو واضح لمن يراجع كتبهم ومصادرهم المعتمدة.

* * *

وأمّا نكاح المتعة فقد أجمعت الأمة الإسلامية بمختلف مذاهبها على مشروعيته، بل واعتبروه من الضرورات الثابتة عن النبي وهم متّفقون على ذلك دون أدنى شكّ،

---

١. آل عمران: ٢٨.

٢. النحل: ١٠٦.

وإنّما الخلاف بين الفقهاء هو حول استمرارية بقاء مشروعيته أو نسخه فيما بعد.

فالشيعة تعتقد عدم نسخ مشروعيته، وأنّ أدلّته قائمة ومعمول بها، ويمكن مراجعة هذه المسألة في كتب الفقه الخاصة بالشيعة.

وليس معنى أنّ أهل السنّة يقولون بتحريمه: أن يلزم الآخرين به، وأن يكون حراماً عندهم أيضاً، فلكلٍّ اجتهاده، فللمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد.

* * *

وأمّا الرجعة فليست هي مسألة اعتقادية، أو محلّ إجماع لدى الشيعة، وإنّما هي قضية قال بها البعض مستنداً إلى بعض الأحاديث، لكنّها ليست من أساسيات الاعتقاد عند الشيعة، ويمكن الاطّلاع على كتب العقائد لدى الشيعة لمعرفة حقيقة هذا الأمر بجلاء.

نصيحة أخوية

وختاماً نقول للكاتب: ها قد جهرنا بمعتقداتنا التي سوف نلقى الله تعالى عليها، فإن كان لديه قدر من الخلق والإنصاف فليذهب ليتحرّىٰ عن عقائد الشيعة من خلال المصادر المعتمدة والمعروفة، لا من خلال كتب ومصادر الخصوم، والمستشرقين من اليهود والنصارى، المتربّصين بنا جميعاً.

وإذا كان الكاتب قد استمسك بقول مالك: «أنّ السنّة كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها غرق» فنحن أيضاً نستمسك بقول رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك» الذي يرويه وينقله العديد ومن طرق عدّة من علماء ومحدّثي أهل السنّة المعتبرين.

انظر كتب السنن، وانظر خصائص أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي، طبعة القاهرة.

وأمّا عن (الصف الواحد!!) الذي يريده الكاتب، فهو من صنع خياله، وهو لن يكون إلّا في حالةٍ واحدةٍ وهي أن ينصهر المسلمون ـ من السنّة والشيعة ـ في بوتقة السلفيّين، ليكونوا هم وحدهم الذين يمثّلون المسلمين، وهذا يعني الحجر على عقول الأُمّة واجتهاداتها.

أما وإنّ الإسلام يحضّ على حرّية العقل والفكر والاجتهاد، فسوف تظلّ هناك الآراء والاجتهادات متباينة، لكنّها محكومة بإطار الإسلام الذي يتمثّل في كتاب الله والسنّة الصحيحة، وكتاب الله وسنّته ليسا ملكاً لمذهب دون مذهب، وليسا حكراً على أحد.

وهذا هو الأساس الذي تدعو الشيعة المسلمين إلى الوحدة والتقريب على أساسه، لا على أساس الخلافات المذهبية والآراء الاعتقادية التي لا تطالب بالتخلّي عنها ونبذها، بل تطلب أن يتّحد المسلمون فيما يتّفقون، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً.

أمّا المقال الثالث

ماذكرناه سابقاً هو كاف وحده للردّ على ما ادّعاه صاحب المقال الآخر المنشور في العدد الآخر من مجلّة «التوحيد» السلفية والذي يحمل عنوان: (فرق حذّر منها العلماء)! والحمد لله أنّه قال حذّر منها العلماء! ولم يقل حذّر منها الإسلام... والعلماء الذين يقصدهم كاتب المقال، هم علماء من أهل السلف بالطبع، وهؤلاء العلماء إنّما يتحدّثون بلسان مذهبهم، ويتّخذون المواقف وفق عقائدهم، ويكفّرون الشيعة وأهل السنّة أيضاً، كما نرى في كتبهم!

ومن حقّنا نحن أيضاً أن نتحدّث بلسان مذهبنا، ونتّخذ المواقف وفقاً لعقائدنا، ونحذّر أيضاً من الفرق الضالّة والمنحرفة التي ألصقها مؤرّخو السلاطين، وعملاء الحكّام الجبابرة، وفقهاء الملوك... بالشيعة، والشيعة منها بريئة.

وقصة مصحف فاطمة التي فجّرها الكاتب، ويفجّرها الخصوم على الدوام من الماضي إلى الحاضر، لا أساس لها من الصحّة على الإطلاق، وما يوجد من السيدة فاطمة الزهراء فهو مجموعة تحتوي على أدعيةٍ خاصّةٍ ومناجاة، كما أنّ هناك كتباً أُخرى لائمة الشيعة يسمّونها الناس بمصاحف الائمة، وليس لهما صلة بالقرآن الكريم على الإطلاق.

والشيعة تعتقد أنّ القرآن قد تكفّل الله سبحانه بحفظه وصيانته من التحريف والتبديل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

إنّ الاعتماد على الأقوال الشاذّة في التراث الشيعي أو السنّي، وأقوال المستشرقين بخصوص رؤية الشيعة للقرآن، ليس من العدل والإنصاف، وليس بحجّة، فهو يناقض البحث العلمي الصحيح، فإنّ أهل السنّة أيضاً ـ كما أشرنا ـ لديهم الكثير من الأقوال الشاذّة والغريبة التي تكتظّ بها كتب السنن والفرق والفقه، لكنّ الشيعة لايحتجّون بها عليهم، وإنّما يحتجّون بالنصوص الثابتة والصحيحة عندهم، مثل روايات البخاري ومسلم.

ومثل هذا الأمر ينطبق على فكرة ابن سبأ التي يحاول البعض إلصاقها بالشيعة، فهو في نظر الشيعة شخصية وهمية أُسطورية من صنع الرواة الخصوم، ولو وجدت إشارات في بعض كتب الشيعة فحاله هو حال الكتب الضعيفة المليئة بالخرافات والأحاديث الموضوعة الموجودة في حوزة المسلمين من أهل السنّة والشيعة، والتي ينظر إليها أهل العلم والبصيرة منهم نظرة الناقد المتفحّص، الباحث عن الحقيقة والصحيح في دائرتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

١. الحجر: ٩.